



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

رقم التسجيل: ....

الرقم التسلسلي: ....

التواصل بين المجتمع الجزائري والدولة العثمانية بعد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغارب الحديث والمعاصر

(تاريخ وحضارة)

-إعداد الطالب:

محمد ميلودي

-تحت إشراف:

أ-د / جميلة معاشي

السنة الجامعية 2014/2015.

إهـــــــــــداء

الى شهداء الأمة في عليائهم

الى من سهرا وكدا من أجلي

الى من ربياني صغيرا

والدي الكريمين رعاهما الله

الى إخوتي وأخواتي لقاء أتعابهم

الى رفقاء دربي... زملائي الطلبة... الى هؤلاء جميعا

أرفع هذا العمل المتواضع

شكـــــر وعرفـــان

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

" رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين " (سورة النمل الآية 19).

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت و لك الحمد بعد الرضى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

وبعد شكر العلي الأعلى أتوجه بخالص شكري وامتناني إلى الأستاذة الدكتورة "جميلة معاشي " التي أشرفت على إنجاز هذا البحث والتي لم تبخل علي بتوجيهاتها السديدة ونصائحها القيمة الرشيدة.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث المتواضع من قريب أو بعيد

-المختصرات باللغة العربية

ش. و. ن. ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ج: الجزء

ط: الطبعة

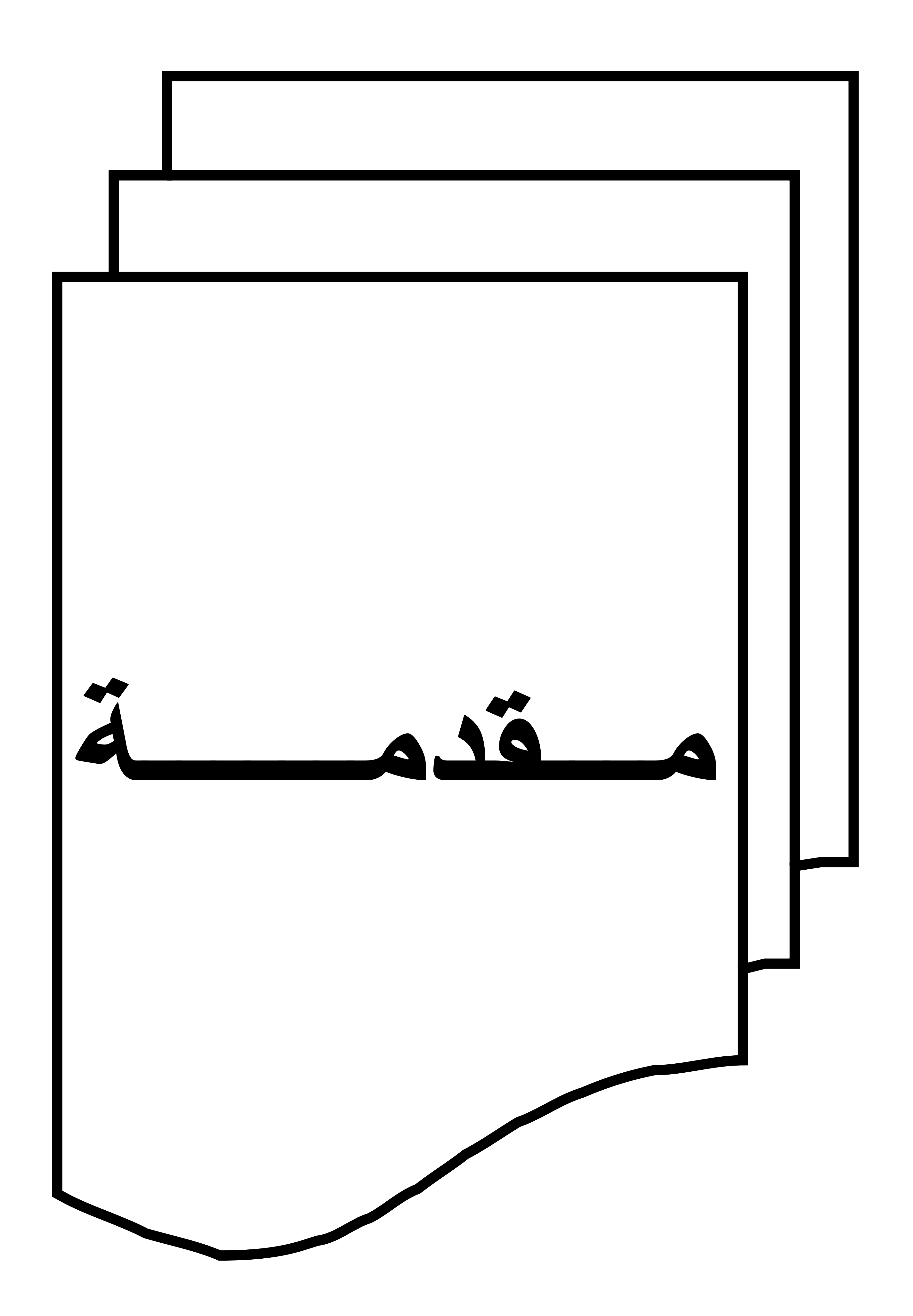
ص: الصفحة

م: ميلادي

هـ: هجري

-المختصرات باللغة الفرنسية

P	page
T	Tome
B .N. A	Bibliotheque Nationale d’Alger
E.G.A.L	Editions Grand Alger des livres
E.N.A.L	Entreprise Nationale du livre
O.P.U	Office des publications universitaires
S . N . E . D	Société Nationale d’edition et de diffusion


مقدمة

إن تاريخنا الوطني، قد كتب في أغلبه بطريقة مجزأة ومن طرف اقلام مأجورة،[1] التي اجتهدت في التأكيد على أن الجزائريين عاشوا فترة استعمارية تركية، زادت على ثلاثة قرون من الزمن، قبل مجيء الفرنسيين الذين حرروهم من نير الاستعمار "التركي "، وحاولت تلك الاقلام قطع كل صلة للجزائريين بمحيطهم الإسلامي، لذلك كان موضوع التواصل بين المجتمع الجزائري والدولة العثمانية بعد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، غاية في الأهمية أن يدرس، في ظل هذا التحريف والتنزيف لتاريخنا الوطني، وما زاد من أهميته هو أنه –حسب علمي– لم يدرس من قبل، لذلك رغبت أن أعرف نظرة الجزائريين للدولة العثمانية، وفي المقابل نظرة هذه الأخيرة إلى الجزائريين بعد الاحتلال الفرنسي خاصة وأن الطرفين ارتبطوا بعلاقات لفترة زمنية طويلة، محاولا معرفة طبيعة الصلات التي ربطت الجزائريين بالعثمانيين بعد الاحتلال الفرنسي، والكشف عن أسباب استمرار التواصل بالرغم على ما يقال ان العهد العثماني في الجزائر أواخر أيامه عرف بالظلم والاستبداد .

-إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية الموضوع في دراسة استمرار التواصل بين المجتمع الجزائري والدولة العثمانية رغم الاحتلال الفرنسي للجزائر وانتهاء الوجود العثماني منها سنة 1830م، وفي سياق هذه الإشكالية يمكن طرح الأسئلة التالية:

- ما هو رد فعل الدولة العثمانية على الاحتلال الفرنسي للجزائر؟

[1]– نذكر من هؤلاء على سبيل المثال: "ارنست مرسي" خاصة كتابه" تاريخ شمال افريقيا من العصور القديمة الى الفتح الفرنسي"، وكذلك "ألفريد نوتامون" وكتابه "الفتح الفرنسي للجزائر" ، أيضا "لوجي دي تاسي" صاحب كتاب "تاريخ مملكة الجزائر" .

– ما موقف الدولة العثمانية من المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي ؟ وكيف كانت نظرة كل من أحمد باي، قائد المقاومة في الشرق الجزائري والأمير عبد القادر قائد المقاومة في الغرب، الى الباب العالي ؟

– لماذا استمر تواصل الأمير عبد القادر بالباب العالي رغم عدائه لأتراك الجزائر؟ وهل اتصاله لم يكن إلا حتمية سياسية دولية فرضت عليه بسبب تنكر السلطان المغربي له ؟

– هل المجتمع الجزائري هو المتمسك بهذا التواصل أم الدولة العثمانية؟

– ما طبيعة هذا التواصل؟

– ما هو موقف الجزائريين من الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى؟

–حدود البحث:

تنحصر حدود هذه الدراسة ما بين الفترة الممتدة من 1830م، وهي سنة احتلال فرنسا للجزائر و انتهاء الوجود العثماني بها، إلى غاية سقوط الدولة العثمانية سنة 1924م، لكن طبيعة التواصل بين الجزائريين والدولة العثمانية جعلتني أتوقف بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

–منهج البحث:

للإجابة عن إشكالية الدراسة والوصول إلى النتائج المرجوة اعتمدت على منهجين هما:

1–المنهج التاريخي الوصفي: والذي طبقته في وصف الأحداث والوقائع وصفاً متسلسلاً وبطريقة كرونولوجية.

2-المـنهج التـاريخي التحليلـي: والـذي اعتمدتـه في إبـراز مظـاهر التواصـل بـين المجتمـع الجزائـري والدولـة العثمانية، من خلال تحليل الوقائع والأحداث ولمعرفة أسباب التواصل وطبيعته.

-صعوبات البحث:

لا ريـب أن الأسـاتذة البـاحثين هـم أدرى مـن أي طـرف آخـر بالصـعوبات والعوائـق الـتي تواجـه أي بحـث علمي، وعليه أردت أن اوجز في ذكر الصعوبات التي واجهتني، والتي تمثلت أساسا في ضيق الوقت، الذي لم يسمح بدراسة كافية لهذا الموضوع، خاصة أنه يدفع الباحث للاطلاع والإلمام بالبيئة السياسية للدولة العثمانية وكذلك للمجتمع الجزائري طيلة الفترة المدروسة حتى يتمكن من الإجابة عن الأسئلة المطروحة، واقترن هذا مع طول المجال الزمني للدراسة زيادة على أنها مليئة بالحوادث والوقائع الهامة في تاريخ الطرفين (الجزائريين والدولة العثمانية).

- أهم مصادر ومراجع البحث:

تنوعت مستندات البحث بين مصادر ومراجع:

1-المصـادر: مـن أهـم المصـادر المعتمـدة في هـذا البحـث "مـذكرات أحمـد بـاي"، حيـث مكنتـني مـن معرفـة العلاقة بين أحمد باي والباب العالي، كما يعتبر كتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائريين" لمحمد بن الأمير عبد القادر من المصادر التي كان لزاماً علي أن أعتمده، خاصة أنه يقدم معلومات مهمة عن علاقـة أسـرة عبـد القـادر بالدولـة العثمانيـة منـذ هجرتهـا إلى الـديار العثمانيـة، وكـان كتـاب "الجزائـر في الوثـائق العثمانية" من أبرز المصادر التي خدمت البحث، فهو يحتوي على وثائق ارشيفية تخص تاريخ الجزائر مكتوبة باللغة العثمانية ومترجمة إلى اللغة التركية، وكل وثيقة تحتوي على ملخص باللغة العربية مما سهل علي الاستفادة منها خاصة في معرفة الأوامر السلطانية التي كانت تصدر في شأن أسرة الأمير.

2-المراجع: من ابرز المراجع المعتمدة نجد كتاب أرجمنت كوران "السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر"، حيث وجدت فيه معلومات قيمة عن موقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، كما كان كتاب "بحوث وثائق في التاريخ المغربي 1816-1876" للأستاذ عبد الجليل التميمي، من المراجع التي زودتني ببعض الوثائق المهمة التي تخص الفترة المدروسة، ولعل كتاب "صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي" لمؤلفه التليلي العجيلي لا يقل أهمية عن المراجع الأخرى، خاصة وأنه يسلط الضوء على العاطفة العثمانية التي كانت سائدة في الجزائر خلال الفترة المدروسة، ويعتبر "الملتقى الدولي" الذي نظم في جامعة بسكرة حول "العلاقات الجزائرية التركية"، من بين أهم المراجع التي أعطت لي تصورا واضحا عن الموضوع، حيث تضمن مقالات لأساتذة باحثين من جامعات عربية وتركية، حول العلاقات الجزائرية التركية في ميزان التاريخ بما فيها فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

-خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، ومدخل ،وثلاثة فصول مقسمة بدورها إلى مباحث، وخاتمة وفي الاخير زودت البحث بعدد من الملاحق.

-الفصل الأول: كان بعنوان" موقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسي للجزائر" ، والذي قسمته إلى ثلاثة مباحث:

-المبحث الأول: "رد فعل الدولة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر"، حيث حاولت أن أبين فيه رد فعل الدولة العثمانية على احتلال أهم إيالة من إيالاتها.

-المبحث الثاني: "مقاومة أحمد باي والباب العالي"، وتطرقت فيه إلى الصلات التي ربطت بين الباب العالي و أحمد باي منذ احتلال الجزائر و إلى غاية استسلام هذا الأخير للفرنسيين سنة 1848م.

-المبحث الثالث: "مقاومة الأمير عبد القادر والباب العالي"، وتعرضت فيه لعلاقة الأمير عبد القادر بالباب العالي أثناء فترة جهاده، كيف كان ينظره إلى الدولة العثمانية، وفي المقابل كيف كان موقف هذه الأخيرة من مقاومته.

-أما الفصل الثاني: فتمحور موضوعه حول "المهاجرون الجزائريون والدولة العثمانية" وضم مبحثين :

-المبحث الأول: "الهجرة الجزائرية إلى الولايات العثمانية"، وخصصته لدراسة أسباب موجات الهجرة الجزائرية بعد الاحتلال الفرنسي والتي كانت ملفتة للنظر نحو الديار العثمانية.

-المبحث الثاني: "أسرة الأمير عبد القادر والدولة العثمانية"، ودرست فيه علاقة الأسرة بالدولة العثمانية منذ هجرة الأمير عبد القادر إلى استانبول

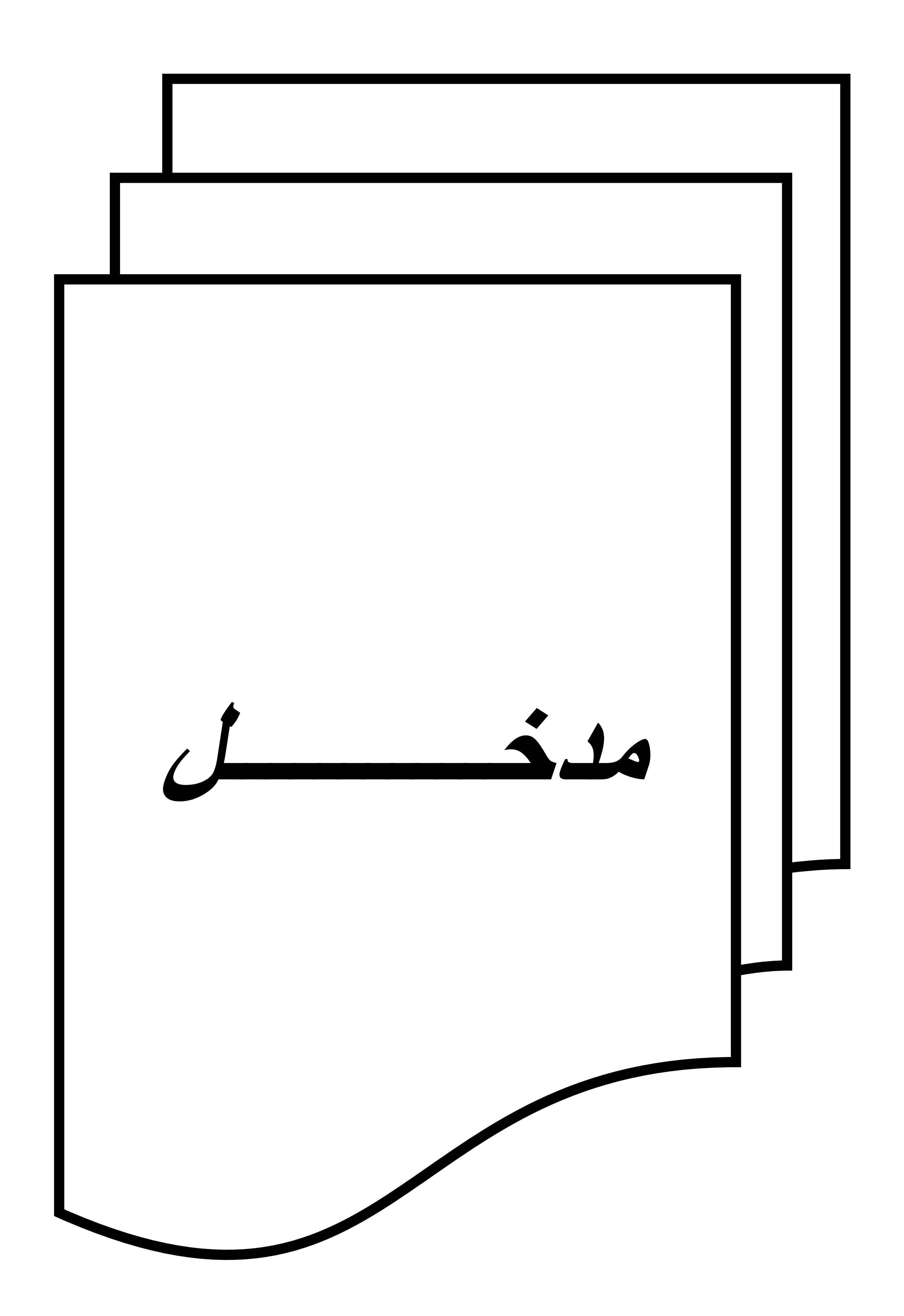
-أما الفصل الثالث: فتناولت فيه "مظاهر استمرار ولاء الجزائريين للدولة العثمانية"، وقسمته إلى ثلاثة مباحث:

-المبحث الأول: "الجزائريون وفكرة الجامعة الإسلامية"، حيث أبرزت صدى فكرة الجامعة الإسلامية، التي تبنتها الدولة العثمانية كسياسة رسمية لدى الجزائريين، الذين كانوا يعانون من أشد ألوان ظلم وجور الاستعمار الفرنسي.

-المبحث الثاني: "موقف الجزائريين من الدولة العثمانية في حروبها قبيل الحرب العالمية الأولى" وركزت فيه على تتبع مظاهر تضامن الجزائريين مع الدولة العثمانية، في ظل تزايد التنافس الأوروبي على ممتلكاتها، وتنامي الشعور القومي العربي المناهض للحكم العثماني في المنطقة.

-المبحـث الثالـث: "الجزائريـون والدولـة العثمانيـة خـلال الحـرب العالميـة الأولى"، ودرسـت فيـه بإسـهاب، موقف الجزائريين من الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، محاولاً تسليط الضوء على مواقف الجزائريين سواء السلبية منها أو الإيجابية تجاه الدولة العثمانية خلال الحرب الكبرى الأولى.

وانهيت البحث بخاتمة كانت بمثابة إجابة على الإشكالية المطروحة، ودعمت ذلك بملاحق رأيت أنها تخدم الموضوع .


مدخل

انتصب الحكم العثماني رسميا في الجزائر سنة 1519م، بعد أن أرسل أعيان مدينة الجزائر رسالة إلى السلطان العثماني "سليم الأول" يستنجدون به فيها لإنقاذهم من الاحتلال الإسباني، وعلى إثر ذلك تم تعيين "خير الدين باشا" حاكما على البلاد برتبة "بايلر باي"[1] سنة1519م .

وبعد فترة وجيزة من التحاق الجزائر بالإمبراطورية العثمانية، تمكنت من تكوين أسطول بحري قوي مكنها من طرد الإسبان خارج المنطقة، فتم تحرير حصن البينيون بمدينة الجزائر سنة 1529م، وتحرير بجاية سنة 1555م ، وغيرها من الثغور التي تم احتلالها قبل مجيئ العثمانيين [2].

وبفضل الموقع الجغرافي المهم للجزائر، بإطلالها على المنافذ البحرية وتوسطها دول المغرب أهلها أن تكون ذات أهمية استراتيجية كبرى، و تلعب دورا محوريا بالوقوف في وجه الأطماع الأوروبية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فقد تمكنت من صد حملة الملك الاسباني "شار لكان" على الجزائر سنة 1541 م، بقيادة "حسن باشا" بن "خيرالدين"، بعد أن تم تعيين أبيه "خير الدين باشا" قائدا عاما للأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسط من طرف السلطان "سليمان القانوني" سنة 1535م،[3] نظرا لما أبداه هذا القائد من حنكة في محاربة الاسبان وتحرير العديد من الثغور، واستطاعت البحرية الجزائرية مساعدة الدولة العثمانية من تحرير طرابلس الغرب سنة 1551م، وتونس سنة 1574م، كما قام الأسطول الجزائري بإنقاذ الأسطول العثماني من هزيمة محققة في معركة "ليبانت" سنة 1571م [4].

[1]– بايلر باي كلمة تركية تعني أمير الامراء

[2]- Moulay Belhamissi, marine et marins d'Alger, t 2, B .N. A, Alger , 1996, p16 -18 .
[3] - Diego de Haedo, histoire des rois d' Alger, traduction, Henri Delmas de Grammont, E.G.A.L, Alger, 2004, p 70.
[4] - Moulay Belhamiss, op -cit, p 95.

وبسبب الدور الذي باتت تلعبه الجزائر، جعل القوى المسيحية تتداول عن شن حملاتها عليها وعلى رأسهم فرنسا التي كانت تعتبر نفسها البنت البكر للكاثوليكية، ولذلك قامت بتوجيه حملة ضدها سنة 1683م، واستمرت تلك الحملة لمدة 23 يوما دون أن تتمكن من الجزائر وعاد جيشها يجر أذيال الهزيمة إلى فرنسا [1].

ولما أدركت فرنسا أن لا قبل لها أمام الجزائر، حاولت أن تكسبها بإبرام صلح معها إلا أنها لم تفلح في ذلك حتى توسطت لها الدولة العثمانية، ونظرا للكبرياء التي كانت تطبع دايات الجزائر في تعاملاتهم مع الدول الأوروبية، فإن داي الجزائر أنداك ترك المفوض الفرنسي لمدة نصف شهر وهو ينتظر دون أن يمضي معه تلك المعاهدة التي جرت في أفريل 1684م، [2] ولعل هذا الموقف وغيره من المواقف العديدة المماثلة التي تقوم بها الجزائر مع الدول الأوروبية ،خير دليل على الهيمنة والسيطرة التي كانت تفرضها الجزائر والمكانة التي كانت تتمتع بها الجزائر في البحر المتوسط أنداك .

أما من الناحية الإدارية والسياسية، فقد مرت الجزائر بأربع أنظمة حكم كبرى خلال الحقبة العثمانية، وهي فترة حكم البايلربايات (1519م-1587م) فترة الباشاوات (1587م-1659م) فترة الأغوات (1659م-1671م) وأخيرا فترة الدايات (1671م-1830م) وقد خلص العديد من المؤرخين الى أن الجزائر خلال فترة حكم الدايات أصبحت دولة شبه مستقلة عن الدولة العثمانية، فصار حاكم الجزائر يعين من طرف الديوان ولم يبق للسلطان العثماني سوى إرسال فرمان التولية، ولعل قيام القبطان "علي شاوش" سنة 1711م، بطرد الداي الذي عينه السلطان العثماني وتعين نفسه دايا على الجزائر بدلا منه، أبلغ شاهد على ما أصبحت تتمتع به الجزائر من استقلالية، وأضحت الجزائر تبرم اتفاقيات مع الدول الأوروبية دون الرجوع للدولة العثمانية، وتعلن الحرب وتبرم السلم، وكانت تفرض إتاوات على العديد من الدول في البحر الأبيض المتوسط بما في ذلك الولايات المتحدة

[1]- عبد الرحمان الجيلالي :تاريخ الجزائر العام ،ج3 ، ديوان المطبوع الجامعية ، ط7، الجزائر ،1995 ،ص 194 .
[2]- المرجع نفسه ،ص 195 .

الأمريكية، ويتم مراسلتها من طرف هذه الدول بمملكة الجزائر أو دولة الجزائر، ويتنافسون لكسب ودها وتحصيل صداقتها .

أما اقتصاديا فقد كانت الجزائر تتمتع بوضع يقوم أساسا على الجهاد البحري وفرض إتاوات على سفن الدول المعادية في البحر المتوسط، أما في الداخل فكانت سياستها تقوم على جمع الأموال بفرض الضرائب على القبائل، فكانت لها بذلك ميزانية مستقلة تميزها عن العديد من الإيالات العثمانية .

وعلى الرغم من الاستقلالية التي باتت تتمتع بها الجزائر، إلا أن العلاقة الدينية و الروحية كانت أشد ما يربطها بالدولة العثمانية التي كانت تتقاسم معها نفس الرؤية السياسية تجاه مطامع الدول الأوروبية في البلاد الإسلامية، لذلك كان تعاونا وثيقا بين الأسطولين العثماني والجزائري في كثير من المناسبات، ولعل أبرزها اثناء الهجوم الفرنسي على مصر سنة 1798م بقيادة نابليون بونابارت، إذ تشير وثيقة عثمانية مؤرخة في 02 أوت 1798م، أن الدولة العثمانية طلبت من حكام الجزائر إرسال الأسطول الجزائري ليلتحق بالأسطول العثماني لمواجهة الفرنسيين الذين استولوا على الإسكندرية ،[1] ومن خلال مضمون هذه الوثيقة يتبن لنا أهمية الجزائر بالنسبة للدولة العثمانية في معاضدتها أثناء مواجهاتها الأوروبية، وكذلك مدى التضامن الذي كان يبديه حكام الجزائر خلال تعرض البلاد الإسلامية للاعتداء الأجنبي، حيث يذكر نقيب أشراف الجزائر "أحمد الشريف الزهار" أن القنصل الفرنسي في الجزائر قد قيد بالحديد أثناء هجوم بلاده على مصر تضامنا مع المصريين،[2] ولما أعلنت الجزائر الحرب على الفرنسيين استجابة لطلب الدولة العثمانية في أوائل 1799م، انتشر الخوف والهلع لدى الفرنسيين وأصبحت سفنهم لاتقد ر على الخروج من الميناء الفرسي خوفا من السفن الجزائرية التي اصبحت تغير على السواحل

---

[1]- الجزائر في الوثائق العثمانية المديرية العامة لدور المحفوظات (رئاسة الأرشيف العثماني) ترجمة: فاضل بيات و السيد يشار محمد صالح الشريف ، رقم المنشور 115، أنقرة ، 2010 ، وثيقة رقم 21، مؤرخة في صفر1213هـ / أوت 1798م ، ص 100.

[2]- أحمد الشريف الزهار :مذكرات، تحقيق: أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. ت، ط2، الجزائر، 1980، ص76 .

الفرنسية، ففي شهر أفريل1799م، قامت البحرية الجزائرية التي فرضت حصارا مطبقا على السفن الفرنسية من القبض على عدد من الضباط الفرنسيين وعائلاتهم وحملتهم إلى الجزائر لأسرهم،[1] فكانت البحرية الجزائرية تثير الرعب لدى الفرنسيين وغيرهم وتفرض شروطها على الدول الأوروبية في كثير من الأحيان .

ولكن العلاقات الفرنسية الجزائرية سرعان ما رجعت إلى مجراها الطبيعي بعد توقيع معاهدة الصداقة بين الطرفين سنة 1801م، وعادت فرنسا إلى صيد المرجان في الساحل الجزائري[2] .

وفي فترة حكم الداي "الحاج علي باشا " (1809-1815)، قامت سفن جزائرية بمساعدة الدولة العثمانية ضد الثائرين اليونانيين الذين اسرفوا في إضرارهم بالأسطول العثماني، كما قامت البحرية الجزائرية سنة 1812م، بالاستلاء على اربع سفن يونانية واقتادتهم إلى ميناء الجزائر أين قاموا بتقسيم غنائمهم على البحارة الجزائريين [3].

ولهذا يمكننا القول، أن الجزائر أصبحت منذ القرن السادس عشر تلعب دورا هاما ومحوريا في البحر الأبيض المتوسط، فقد دخلت في كثير من الأحيان إلى جانب الدولة العثمانية أثناء مواجهاتها مع الدول الأوروبية مثل معركة" ليبانت" سنة 1571م، وتمكنت من حماية العدوة المغاربية وتحرير العديد من الثغور المغاربية وصولا إلى تحرير وهران سنة 1792م، والوقوف في وجه الأطماع الأوروبية ردحا من الزمن.

وعلى هذا الأساس كانت الجزائر تختلف عن باقي الإيالات العثمانية الأخرى بل ذات مكانة كبرى بالنسبة للدولة العثمانية والمنطقة المغاربية.

[1]- خليفة إبراهيم حماش : العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير، جامعة الإسكندرية، 1988، ص 208 ، بحث غير منشور.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج3، ص 194 .

[3]- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، 2000 ،ص 358 .

أما مع نهايات الثامن عشر وبداية القرن التاسع فقد بدأ الضعف يظهر جليا على الأسطول الجزائري[1]، الذي أثر تأثيرا مباشرا على خزينة البلاد بسبب تناقص عائدات النشاط البحري، وأصبح اختلال موازين القوى بيننا لصالح الدول الأوروبية، حتى وقعت حملة الأسطول الإنجليزي على الجزائر بقيادة الأميرال "اكسماوث" سنة 1816م،[2] والتي تحطمت فيها أجزاء كبيرة من وحدات والأسطول الجزائري وبانهزام الجزائر إلى جانب الدولة العثمانية في معركة نافرين سنة 1827م، يكون بذلك قد تحطم الأسطول الجزائري كليا .

ولما كانت الجزائر تنوب عن الدولة العثمانية بالدفاع عن العدوة المغاربية وتقف في وجه الأطماع الأوروبية منذ القرن السادس عشر، فقد مثلت مصدر قلق بالنسبة للدول الأوروبية، بل كان الأوروبيون يعتبرون الأسطول الجزائري في غرب المتوسط امتدادا للأسطول العثماني في الشرق، فأرادت بذلك فرنسا أن تخلق تعاونا وثيقا مع روسيا- التي كانت من أشد المتحمسين للاستلاء على أجزاء من الإمبراطورية العثمانية- لمواجهة الأطماع الإنجليزية في البحر المتوسط باستلائها على الجزائر كأحد أجزاء الإمبراطورية،[3] فقامت بتجسيد أطماعها القديمة، باغتنام فرصة تحطم بقايا وحدات الأسطول الجزائري في معركة نافرين سنة 1827م، وأعلنت في نفس السنة محاصرتها للجزائر تمهيدا لاحتلالها [4] .

---

[1]- نلاحظ ان وحدات الأسطول الجزائري بدأت تتناقص منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر بشكل كبير فمن 70 سفينة سنة 1634م إلى 23 سفينة سنة 1659 م إلى12 سفينة سنة 1822م ، للمزيد أنظر: ناصر الدين سعيدوني :ورقات جزائرية ،المرجع السابق ،ص 194 .

[2]- Moulay Belhamissi, op -cit, p71.

[3]- عمار بوحوش :التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص83.

[4]- كانت أطماع فرنسا منذ القدم في الجزائر، فقد أرسلت الجاسوس بوتان سنة 1808م، الذي كان مهندسا في الخرائط وأعد تقيرا مفصلا عن ا لجزائر وكان ذلك التقرير هو الذي اعتمد عليه الفرنسيون أثناء غزوهم الجزائر سنة 1830م. أنظر:

-Moulay Belhamissi, op -cit, p10.

الفصل الأول: موقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسي للجزائر

المبحث الأول: رد فعل الدولة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر

المبحث الثاني: مقاومة أحمد باي والباب العالي

المبحث الثالث: مقاومة الأمير عبد القادر و الباب العالي

اتخذ الفرنسيون ذريعة إهانة قنصلهم " دوفال" من طرف الداي "حسين باشا" [1] في أفريل 1827م كتبرير لغزو الجزائر، وأوهموا الجزائريين أنهم سيحررونهم من الاستعمار التركي، ولكن في الحقيقة للفرنسين أسباب خفية كثيرة دفعتهم لاحتلال الجزائر لايسعنا المقام لذكرها، وعلى إثر ذلك قام الفرنسيون بإعلان الحصار على الجزائر تمهيدا لغزوها .

وبما أن فرنسا تدرك أن الجزائر تحتل مكانة كبرى بالنسبة للدولة العثمانية، فقد قدمت مذكرة عن طريق سفيرها "قييومينو" باستانبول إلى رئيس الكتاب العثماني "برتيف افندي" في أوت 1827م، تبن فيها رغبتها عن إعلان الحرب على الجزائر، لكن رئيس الكتاب العثماني أبدى رفضه المطلق لمضمون المذكرة [2].

وبعد توقيع الباب العالي [3] معاهدة أدرنة سنة 1829م، [4] اهتم مجددا بالقضية الجزائرية، فأوفد مفتي سابق كان بالجزائر والموجود في أزمير هو "خليل أفندي" لإقامة تفاهم بين الجزائر وفرنسا حيث وصل "خليل أفندي" إلى الجزائر في أوائل نوفمبر 1829م، لكن مهمته باءت بالفشل، ثم قام الباب العالي "بتعين طاهر" باشا لنفس المهمة والذي أقلع من استانبول في أفريل 1830م [5]، إلا أنه لم يستطع هو الآخر حل الأزمة حتى سقطت

[1]– ولد حسن باشا سنة 1764م في مكان يدعى ندرلة، وباستانبول نشأ و خدم في المدفعية فترة من الزمن، ثم انتقل الى الجزائر التي تولى فيها عدة مناصب قبل أن يصبح دايا عليها سنة 1818م، حدث في عهده احتلال الجزائر من طرف فرنسا، وبعد الاحتلال نفي الى الاسكندرية التي توفي بها سنة 1838م . أنظر أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900،ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص 19 .

[2]– احميدة عميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث ،ج1، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، 1998م ،ص 10 .

[3]– الباب العالي وهو الاسم الرسمي للحكومة العثمانية، أنظر :سهيل صابان :المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص 48 .

[4]– معاهدة صلح بين روسيا والدولة العثمانية وقعت في سبتمبر 1829م، كانت أغلب بنودها لصالح الروس، كما نصت على استقلال ذاتي لليونان. أنظر: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص 431 .

[5]– آرجمنت كوران: السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس،1970م، ص ص45 – 54.

الجزائر، ولكن هل الدولة العثمانية تخلت عن الجزائر بمجرد سقوطها تحت الاحتلال الفرنسي ؟ وكيف كان ردها تجاه احتلال أهم إيالة من إيالاتها ؟ وما موقفها من المقاومة الجزائرية في الشرق و في الغرب ؟ .

-المبحث الأول: رد فعل الدولة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر

نزل الجيش الفرنسي بشاطئ سيدي فرج في 14 جوان 1830م، وكنتيجة حتمية لقوة الجيش الفرنسي مقابل ضعف الجيش الجزائري وتشتته لم تستطع الدفاعات الجزائرية الصمود فترة طويلة، حتى سقطت مدينة الجزائر بتوقيع معاهدة الاستسلام مع الفرنسيين في 05 جويلية 1830م .

أما بالنسبة للدولة العثمانية التي فشلت في منع وقوع الحملة الفرنسية على الجزائر، منذ إعلان فرنسا عن رغبتها في تأديب "الداي حسين" سنة 1827م، فإنها بذلت بعد سقوط الجزائر مساعي حثيثة لاستعادتها، ويمكن أن نقسم مساعي الدولة العثمانية لاسترجاع الجزائر إلى مساعي سياسية ومساعي عسكرية.

أ-المساعي السياسية

بدأ رد فعل الدولة العثمانية على الاحتلال الفرنسي للجزائر، منذ اعترض رئيس الكتاب العثماني "حميد باي" على السفير الفرنسي باستانبول "قييومينو"، حينما قدم له هذا الاخير مذكرة بتاريخ 14 أوت 1830م، يصرح فيها أن الجزائر أصبحت تحت التصرف الفرنسي.[1]

وفي إطار نشاط رئيس الكتاب العثماني لصالح القضية، قام في 29 جانفي 1831م، بالتقابل مع السفير الإنجليزي "السير غوردن" وعبر له عن رغبة دولته في مساعدة إنجلترا لتأكيد شرعيتها في الجزائر، لكن رد السفير

[1]- المرجع نفسه، ص 61 .

الإنجليزي كان دون تطلعات الطرف العثماني، [1] وكان سبب البرودة التي طبعت الرد الإنجليزي تجاه القضية الجزائرية هو حدوث تقارب بين فرنسا وإنجلترا بعد انقلاب جويلية 1830م، حيث اعترفت إنجلترا "بلويس فيليب" ملكا على الفرنسيين، [2] وبدأت بذلك العلاقات الإنجليزية الفرنسية في تحسن على الرغم من أن إنجلترا كانت من أشد المعارضين لاحتلال فرنسا الجزائر .

وبعد الرد الغير مقنع الذي لمسه "حميد باي" من السفير الانجليزي، أراد تأكيد شرعية بلاده مرة أخرى في الجزائر لدى السلطات الفرنسية، فقام بتقديم مذكرة بشأن ذلك للسفير الفرنسي باستانبول "قييومينو" بتاريخ 13 ماي 1831م، عبر له فيها عن أمل بلاده الكبير في تخلي فرنسا عن احتلالها للجزائر، لكن رد الطرف الفرنسي كان مفتوحا بشأن القضية،[3] ولعل سبب الجواب الفرنسي الذي لم يكن قطعيا على مذكرة رئيس الكتاب العثماني، يعود إلى أن فرنسا كانت مترددة بخصوص الجزائر حتى سنة 1834م، وهو التاريخ الذي زارت فيه اللجنة الإفريقية الجزائر، وأوصت بضرورة الاحتفاظ بها.

ولما كانت الدولة العثمانية تصر على أحقيتها في الجزائر لدى السلطات الفرنسية والإنجليزية وحتى النمساوية، فقد قامت بكتابتها ضمن ممتلكاتها في دفتر التوجيهات العالية بتاريخ 07 مارس1832م، ونشر ذلك في جريدة "تقويم وقايع" [4] التي جاء فيها " لما كانت ولاية الجزائر موعودا بردها لطرف الدولة العلية عندما طلبناها، فسينتظر بمقتضاه عند التنظيم "[5]، ولعل ما جاء في دفتر التوجيهات بخصوص الجزائر يؤكد أن الدولة العثمانية كانت لديها أمل كبير في أن فرنسا ستتخلى عن الجزائر لصالحها، وقد تكون تلقت وعدا من أحد الأطراف

[1]- عبد الرحمان الجيلالي :المرجع السابق ،ج3، ص397 .
[2]- آرجمنت كوران : المرجع السابق ،ص 68 .
[3]- عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق ،ج3 ،ص397 .
[4]- الجريدة الرسمية للدولة العثمانية .
[5]- آرجمنت كوران :المرجع السابق ،ص 70 .

لإرجاع الجزائر لصالحها وهذا ما تؤكده عبارة " ولما كانت ولاية الجزائر موعودا بردها لطرف الدولة العلية "، ولهذا نجد أن الدولة العثمانية حتى هذا التاريخ ورغم أن فرنسا أخذت تتوغل في الجزائر، إلا أنها مازالت متمسكة بالحل السياسي ولم تفكر في أسلوب غيره .

وبعد تسوية الدولة العثمانية مشكلة الشام في منتصف 1833م، [1] صوبت اهتمامها مجددا إلى القضية الجزائرية، وما زاد من حماسها تجاه القضية وصول عريضة من الجزائر في أواسط 1834م، [2] كتبها "حمدان بن عثمان خوجة"، [3] يسترحم فيها السلطان العثماني لإنقاذ الجزائر من الاحتلال الفرنسي [4] .

وفي الوقت الذي كان فيه الباب العالي يجري مساعي حثيثة لاسترجاع الجزائر إلى الحضيرة العثمانية، كان الجزائريون يظهرون نفس الشعور، فكان أعيان مدينة الجزائر كما يقول ابو القاسم سعد الله على اتصال مع الداي المخلوع "حسين باشا"، ويعتقدون أن فرنسا ستتخلى عن الجزائر لأنها لن تقدر على تكاليف الحرب، [5] كما اتهم اتهم حمدان خوجة من طرف السلطات الفرنسية بأنه يحلم بعودة الحكم الإسلامي للجزائر، واتهموه أيضا أنه أجرى محادثات مع السفير العثماني في باريس للقيام بأعمال ضد فرنسا، [6] والحق أن هذه التهمة غير مستبعدة

[1]- سنة 1833م قامت الدولة العثمانية بتوقيع معاهدة كوتاهية التي تنازلت بموجبها لمحمد علي باشا على ولاية مصر .أنظر: محمد فريد بك المحامي: المرجع السابق، ص 451 .

[2]- احميدة عميراوي :دراسات في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 10 .

[3]- حمدان بن عثمان خوجة كاتب وسياسي من الرواد الاوائل للحركة الوطنية الجزائرية ، ولد حوالي سنة 1775م، بمدينة الجزائر التي اشتغل بها استاذا للقانون ،زار عدة دول اوروبية وكان يتقن عدة لغات، تزعم لجنة المغاربة التي تشكلت بعد الاحتلال الفرنسي وقام بنشاط كبير من اجل القضية الجزائرية في فرنسا واستانبول، نفي سنة 1833م، الى باريس وفي سنة 1836م، رحل إلى القسطنطينية التي توفي بها سنة 1840م . أنظر :عادل نويهض معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نوهض الثقافية، ط2، بيروت، 1980م، ص136-137.

[4]- عبد الجليل التميمي :بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871، الدار التونسية، تونس، 1972م، ص 62 .

[5]- ابو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائرالحديث بداية الاحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، الجزائر، 1970م، ص62.

[6]- محمد بن عبد الكريم :حمدان بن عثمان خوجة و مذكراته، دار الثقافة، بيروت، 1972م، ص62 .

عن "حمدان خوجة" الذي تألم لما آل إليه وضع الجزائر بعد الاحتلال وواجه في ذلك السلطات الفرنسية بكتابه المعروف "المرآة" الذي ألفه خصيصا لذلك .

وبعد التباحث في شأن العريضة التي وردت من الجزائر، قرر الباب العالي تكليف السفير العثماني في باريس "رشيد باي" للقيام بمباحثات مع وزير الخارجية الفرنسي "دي ريني" لإيجاد حل للقضية الجزائرية، وعلى إثر ذلك جرى اجتماع بين "رشيد باي" و "دي ريني" في 18 ديسمبر 1834م، صرح فيه السفير العثماني بمهمته في شأن القضية الجزائرية، لكن رد الطرف الفرنسي هذه المرة على المطالب العثمانية كان أكثر وضوحا، إذ اخبر وزير الخارجية الفرنسي السفير العثماني أنه سيقدم له الجواب القطعي بشان القضية الجزائرية لاحقا، [1] ولعل الحزم و الوضوح الذي أصبح يطبع الرد الفرنسي يعود إلى صدور قرار الاحتفاظ بالجزائر في 22جويلية 1834م .

وعلى الرغم من التصلب الذي اصبح واضحا على الموقف الفرنسي بخصوص الجزائر بعد صدور قرار الاحتفاظ بها، فإن الباب العالي لم ييأس من استرجاع الجزائر، فقد قام السفير العثماني في باريس "رشيد باي" مرة أخرى باجتماع مع وزير الخارجية الفرنسي "دي ريني" بتاريخ 27 جانفي 1835م، وتباحث معه في شأن الجزائر، لكن الطرف الفرنسي أبدى تجاهله للقضية [2].

وما يلاحظ ان فرنسا على الرغم من تصلب موقفها وتجاهلها الذي أصبحت تبديه تجاه القضية منذ صدور مرسوم جويلية 1834م، إلا انها تركت املا للدولة العثمانية في الجزائر، وربما يعود سبب ذلك التصرف لإبعاد الدولة العثمانية عن تفكيرها في دعم المقاومة بالجزائر .

ومع الرد الفرنسي الذي أصبح أكثر وضوحا تجاه الباب العالي بشأن الجزائر، عرفت القضية الجزائرية تطورا آخر، فقد عينت الدولة العثمانية "نوري افندي" سفيرا بلندن بدل "نامق باشا" وكلفته خصيصا بتعليمات لبحث

---

[1]- آرجمنت كوران :المرجع السابق ،ص 82-84

[2]- المرجع نفسه ،ص 85 .

المسألة الجزائرية، [1] ولما قام "نوري أفندي" بزيارة السفير الروسي في لندن "بزو دي بورقو" للتباحث معه في قضية الجزائر، سمع نبأ ثورة "الأمير عبد القادر" [2] وكان ذلك في أول جانفي 1835م، [3] والحق ان "الأمير عبد القادر" ذاع صيت ثورته منذ وقع معاهدة "دي ميشال" مع الفرنسيين في فيفري 1834م،[4] وأدى ذلك إلى حصوله على اعترافات دولية وأصبح قوة تخيف الفرنسيين، وربما هذا ما جعل امل الباب العالي يزيد تجاه عودة الجزائر إلى الحضيرة العثمانية، وتركه ببذله مساع جديدة لصالح القضية، وسبب في تغيير نظرته تجاه الجزائر بالتفكير في اساليب أخرى تكون أكثر جدية .

وأملا من السلطات العثمانية أن تقوم فرنسا بتغيير رأيها في المسألة الجزائرية، خاصة بعد الضغط الذي أصبح يمارسه "الامير عبد القادر" في الداخل، قدم السفير العثماني بلندن "نوري افندي" مذكرة إلى وزير الخارجية الفرنسي "دي ريني" بتاريخ 19 جوان 1835م، يؤكد له فيها أحقية الدولة العثمانية في الجزائر، لكن الموقف الفرنسي هذه المرة كان أكثر سلبية من قبل، وفي الشهر الموالي قام "نوري أفندي" بالتقابل مع السفير الإنجليزي "بلمر ستون" ليشرح له الموقف الفرنسي الذي اصبح اكثر تصلبا من أي وقت مضى تجاه المسالة الجزائرية، لكن

---

[1]– عبد الرحمان الجيلالي :المرجع السابق ، ج3، ص398 .

[2]– الامير عبد القادر بن محي الدين ولد سنة 1808م، قاد المقاومة في الغرب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي مند السنوات الاولى للاحتلال، وعقد اول معاهدة مع المستعمر سنة 1834م، وفي سنة 1837م أبرم معه معاهدة اخرى وبعد استسلامه سنة 1847م، رحل الى بلاد الشام التي توفي بها سنة 1883.أنظر:عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، دار الهدى ،عين مليلة، الجزائر، 2002، ص205-210.

[3]- آرجمنت كوران :المرجع السابق، ص86 .

[4]- عبد الحميد زوزو: مراسلات الأمير عبد القادر و الجنرال دي ميشال ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 07.

الطرف العثماني تفاجأ برفض السفير الإنجليزي التحدث في هذه المسالة [1]، ولعل ذلك يعود لتقارب المصالح الفرنسية البريطانية .

وفي هذه الاثناء كان أحد الشخصيات الطرابلسية المرموقة يدعى "حسونة الدغيس" في باريس يقوم باتصالات مكثفة مع العثمانيين ويعرض عليهم المشكلة الطرابلسية، التي تفاقمت مع تزايد تدخل القنصلين الفرنسي والانجليزي فيها، [2] وفي نفس المكان كان "حمدان خوجة" يستعطف الدولة العثمانية عن طريق سفارتها في باريس إلى استعمال القوة لاسترجاع الجزائر[3] .

وأمام هذه التطورات التي عرفتها القضية الجزائرية، زيادة على المراوغات التي وجدتها الدولة العثمانية في الدبلوماسية الأوروبية، تأكد الباب العالي أن الحل الدبلوماسي لا يمكن ان يؤدي إلى أي نتيجة ، و جعله ذلك يفكر في ايجاد طريقة اخرى لعلها تمكنه من حل المسألة الجزائرية .

ب –المساعـى العسكـرية

وجدت الدولة العثمانية الفرصة سانحة لاسترجاع نفوذها في طرابلس الغرب مستغلة في ذلك الأزمة التي نشبت داخل الأسرة القرمانلية بين بن "يوسف باشا" و أحد أحفاده، واشتدت الأزمة خطرا بعد تزايد تدخل القنصلين الفرنسي و الانجليزي في القضية، فقرر الباب العالي على إثر ذلك وضع حد لهذه الأزمة وإعادة الحاق طرابلس الغرب بالدولة العثمانية إلحاقا مباشرا، فتم إرسال حملة بحرية بقيادة "الأميرال نجيب" الذي وصل الى

[1]– عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج3، ص398 .

[2]– عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق ....،المرجع، ص 271-272 .

[3]– عبد الجليل التميمي: نشاط حمدان بن عثمان خوجة في باريس واستانبول من أجل القضية الجزائرية، المجلة التاريخية المغربية، العدد 07-08، جانفي 1977، تونس، ص 135 .

السواحل الطرابلسية في 26 ماي 1835م، حيث عين واليا عليها و أعيدت إلى الحكم العثماني المباشر، [1] وبالتالي أصبحت الدولة العثمانية قريبة من الأحداث في الجزائر وأصبح بإمكانها تقديم مساعدات "لأحمد باي"[2] الذي لم يصل الفرنسيون إلى مركز مقاومته بعد، ويكون الباب العالي قد استبق الأحداث بإلحاق طرابلس الغرب تحت إدارته المباشرة لمنع تكرار ما حدث للجزائر خاصة مع تفاقم الأزمة في طرابلس، وتزايد تدخل القنصلين الفرنسي و الانجليزي في شؤونها في الوقت الذي أصبحت تونس تتقرب إلى الفرنسيين منذ ان احتلوا الجزائر حتى تكسب ودهم[3].

وفي أوائل 1836م، وصلت عريضة من أهالي قسنطينة إلى إستانبول يطلبون فيها المساعدة من السلطان العثماني وستعطفونه لإنقاضهم من الاحتلال الفرنسي ويطلبون إعطاء "احمد باي" رتبة باشا، [4] فكان الجزائريون يعتبرون السلطان العثماني خليفتهم حاميهم، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تعتبرهم من رعاياها وذلك بالرغم من مرور على الاحتلال الفرنسي للجزائر عدة سنوات [5] .

---

[1] - آرجمنت كوران :المرجع السابق، ص88 .

[2] - الحاج أحمد باي :آخر حكام بايلك الشرق ولد عام 1789م، تولى حكم بايلك قسنطينة سنة 1826م وعند دخول الفرنسيين الى الجزائر حاربهم بكل ضراوة حتى سقوط عاصمة بايلكه سنة 1837م، فانسحب الى الأوراس وبقي يحارب المستعمر ولما وهن عظمه وتفرق جمعه استسلم للفرنسيين سنة 1848م .انظر :عبد الكريم بوصفصاف وآخرون : المرجع السابق، ج1، ص 177 - 180 .

[3] - لما قام الفرنسيون باحتلال الجزائر أراد الباي التونسي كسب ود الفرنسيين فأرسل مبعوثا باسمه لحضور الحفل الذي أقامه الفرنسيون بمناسبة احتلالهم الجزائر، وقدم التهاني لقائد الحملة الفرنسية المارشال دي بومون ، ظنا منه أن يكسب بذلك الفرنسيين أنظر التليلي العجيلي: صدى حركة الجامعة الاسلامية في المغرب العربي، 1876 - 1918، دار الجنوب، تونس، 2005، ص45 .

[4] - عبد الرحمان الجيلالي :المرجع السابق ،ج3،ص 399 .

[5] - René Galli sot, Algérie colonisés Algérie Algérienne, (1870-1962), barzakh, Alge , 2007,p24 .

ويلاحظ انه منذ إلحاق الدولة العثمانية لطرابلس الغرب أصبحت تقوم بخطوات أكثر جرأة تجاه المسألة الجزائرية، فقامت في شهر ماي 1836م، بإرسال وحدات من أسطولها بقيادة "طاهر باشا" إلى السواحل الطرابلسية، [1] لكن فرنسا في المقابل لم يكن يرضيها النشاط الذي أضحى يقوم به الاسطول العثماني في السواحل الطرابلسية، إذ وجهت تحذيرا شديد اللهجة إلى السلطات العثمانية أن أي مساس بالمصالح الفرنسية سيشعل حربا بين الطرفين[2] وعلى ما يبدو أن فرنسا كانت تخشى أن تقوم الدولة العثمانية بإعادة تونس إلى حكمها المباشر، خاصة أن العلاقات العثمانية التونسية قد تأزمت منذ احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م، وما نستشفه من هذا أيضا الأطماع الفرنسية المبكرة لاحتلال تونس كما ان ذلك التحذير لم يكن لولا علم فرنسا بالضعف الذي أصبح اعترى الدولة العثمانية .

وبالموازاة مع العمل العسكري الذي استخدمته الدولة العثمانية، لم تهمل الجانب السياسي، حيث قام السفير العثماني "نوري أفندي" بمباحثات في 26 سبتمبر 1836م بباريس [3] . أملا منه في تسوية القضية الجزائرية .

وبعد انهزام الجيش الفرنسي أمام أسوار قسنطينة في حملته الأولى أواخر نوفمبر 1836م، طرح الطرف العثماني المسألة الجزائرية على وزير الخارجية الانجليزي "اللورد بلمرستون" الذي كان رده في هذه المرة أيضا مخيبا لآمال العثمانيين، [4] ويظهر أن انتصار "أحمد باي" على الفرنسيين زاد من طموح الباب العالي في استرجاع الجزائر خاصة أن الموقف الفرنسي بعد هذا الانهزام أصبح أكثر ليونة من ذي قبل وذلك حتى تصرف فرنسا تفكير الدولة العثمانية عن إرسال مساعدا "لأحمد باي" .

[1]- آرجمنت كوران :المرجع السابق ،ص 90 .
[2]- احميدة عميرا وي: دراسات في تاريخ الجزائر... ،المرجع السابق ،ص 11 .
[3]- آرجمنت كوران :المرجع السابق، ص92- 96 .
[4]- المرجع نفسه، ص 96 .

وفي أواخر شهر جويلية 1837م، أرادت الدولة العثمانية القيام بمحاولة جديدة، فأخرجت وحدات من أسطولها إلى البحر المتوسط متوجهة إلى طرابلس الغرب بقيادة "فوزي باشا" قائد البحرية، لكن فرنسا التي كانت تراقب كل تحركاتها قامت هي الأخرى بتوجيه وحدات من أسطولها إلى المياه الاقليمية التونسية، إلا أن وزير البحرية العثماني صرح أن مهمة أسطوله هي فقط لزيارة باي تونس "مصطفى باشا"، [1] ولعل رغبة بلاده الحقيقية من هذه الخطوة هي جس النبض لإلحاق تونس لإدارتها المباشرة كما فعلت مع طرابلس الغرب من قبل، خاصة و أن العلاقة العثمانية التونسية تدهورت منذ منع "طاهر باشا" النزول في تونس أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر و الذي فسره الباب العالي أنه انحياز لفرنسا .

أما الاسطول العثماني فقد بقي حتى سبتمبر 1837م، أين غادر البحر المتوسط متوجها إلى استانبول [2] وبذلك فشلت محاولة الباب العالي في إلحاق تونس لإدارته المباشرة، للاقتراب أكثر من الوضع في الجزائر .

وبهذا يمكننا القول أن الدولة العثمانية بذلت مساع كبيرة لاسترجاع الجزائر، فبدأت بالحل السياسي وأجرت في ذلك نشاطا كبيرا مع عدة أطراف أوروبية في الوقت الذي كان فيه شعور الجزائريين هو عودة الحكم العثماني إلى الجزائر، ولما يئست الدولة العثمانية من نجاعة النشاط السياسي طبقت الأسلوب العسكري فأعادت طرابلس الغرب إلى حكمها المباشر سنة 1835م، وأصبحت أكثر اقترابا من الجزائر، ولكن السؤال الذي يتبادر في أذهاننا من خلال هذا العرض هو: كيف كان نظر الباب العالي إلى ردود الفعل الجزائرية تجاه الاحتلال الفرنسي؟ خاصة وأنه مارس نشاط سياسيا وعسكريا كبير من اجل استرجاع الجزائر، وكيف كانت علاقته خاصة بمقاومة "احمد باي" الذي كان يعتبر نفسه استمرارا للسلطة العثمانية في الجزائر ؟

---

[1] – عبد العزيز محمد الشناوي :الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،ج2، المكتبة الانجلو مصرية، ط2، 1986م، ص957 .

[2] – المرجع نفسه، ص 957 .

-المحث الثاني: مقاومة أحمد باي والباب العالي

منذ ان احتل الفرنسيون الجزائر قابلهم اهلها بردة فعل سريعة وعنيفة، فتعددت المقاومات وتنوعت رفضا للاستعمار الاجنبي، واندلعت الانتفاضات في شرق البلاد وغربها ولعل ابرزها مقاومة "الحاج أحمد" باي قسنطينة في الشرق، ومقاومة "الامير عبد القادر" في الغرب.

أما الحاج "أحمد باي" فقد بدأ مقاومته منذ دخول الجيش الفرنسي الجزائر في صائفة 1830م، حيث شارك في معركة اسطوالي وبعد الانهزام الذي مني به الجزائريون فيها افل راجعا إلى قسنطينة عاصمة بايلكه .

بعد وصول "أحمد باي" الى بايلكه بدأ ينظم الامور ويستعد لمواجهة العدو الفرنسي الذي كان يعلم انه سيصوب نظره الى بايلكه بعد تمكنه من مدينة الجزائر، وفي الوقت الذي كان فيه الباي منشغلا بتنظيم الامور وصلته رسالة من الحاكم الفرنسي "كلوزيل" يعرض عليه الاعتراف بسلطة الفرنسيين مقابل تثبيته على بايلكه، لكن "الحاج احمد"، وبعد استشارته لأعضاء ديوانه رفض عرض الفرنسيين وأخبر الحاكم الفرنسي أنه لن يقبل بذلك الا برضا السلطان العثماني "محمود الثاني"[1] آنذاك، [2] فعبر بذلك "احمد باي" واعضاء ديوانه عن ولائهم للباب العالي والسلطان العثماني منذ البدايات الاولى للاحتلال، و كان أعيان قسنطينة قد عبروا عن نفس الشعور في الوقت الذي حدث فيه الانقلاب على "أحمد باي" أثناء ذهابه إلى مدينة الجزائر عشية الاحتلال، فوقفوا الى جانب "احمد باي" بحجة أنه معين من طرف الباشا الذي يستمد شرعيته من السلطان العثماني وبما ان الباشا

---

[1] – محمود الثاني :هو السلطان الثلاثون من سلاطين آل عثمان حكم ما بين سنتي 1807م-1839م، حدث في عهده احتلال الجزائر من طرف فرنسا و تم في فترته استقلال اليونان سنة 1832م وفتحت المسألة الشرقية على مصراعيها، وعمل السلطان كل ما في وسعه لاستعادة الجزائر. أنظر : حضرة عزتلو يوسف بك آصف: تاريخ بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص112 .

[2] – محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، ش .و ن. ت، ط2، الجزائر، 1981، ص 20 .

سقط بفعل الاحتلال ،فالجزائر أصبحت تابعة لسلطان استانبول ،وبالتالي لا يمكن عزل الباي إلا بقرار من هذا الأخير.

و لما أبرم باي تونس معاهدة مع الفرنسيين في 18 ديسمبر 1830م على أن يستلم مقاطعة قسنطينة، [1] بعث برسائل الى "أحمد باي" يخبره فيها أن يتنحى عن الحكم لصالح أخيه فكان رد "الباي أحمد" برسالة عبر فيها مرة أخرى عن ولاءه التام للسلطان بل يعتبره خليفته وسلطانه وكان ذلك حسب "أحمد باي" بموافقة أعضاء ديوانه،إذ يقول : فبعد تفكير وتدبير فيما ينبغي فعله في هذه الظروف تقرر أن يكتب الديوان رسالة إلى باي تونس، فكان ما يلي " إن ما تقترحونه علينا لا يليق بنا مطلقا ... فكيف يمكن لكم أن ترغمونا على ذلك ألستم مثلنا، تابعين لخليفة استانبول... إن السلطان محمود وحده هو الذي يستطيع أن يقرر تقسيم أملاكه..." [2] . فزيادة على اعتبار "السلطان محمود" خليفتهم، اعتبر "أحمد باي" مع أعضاء ديوانه الجزائر قطعة من الامبراطورية العثمانية وملك لسلطان استانبول، وذلك على الرغم من أن الاستعمار الفرنسي استولى على الجزائر وعرض على "أحمد باي" تثبيته في منصبه مقابل الاعتراف بسلطتهم عليه، لكنه أبى إلا أن يتمسك بولائه للسلطان العثماني دون غيره.

إن وفاء "أحمد باي" للباب العالي جعله يسارع إلى ارسال رسالة إلى السلطان العثماني حملها أحد أعيان قسنطينة يسمى "علي بن العجوز" وعامل من عمال الباي يدعي "الحاج أحمد مصطفى"، يكذب فيها الادعاءات التي ألصقها به الباي التونسي "محمود باي "، الذي يصوره فيها على أنه مستبد وأنه أصبح لا يعترف بسيادة السلطان فكتب أحمد باي يقول "...إنك الان تعرف كل شيء - يقصد السلطان محمود – وأنت

[1]- محمد العربي الزبيري :المقاومة في الجزائر 1830- 1848 ،مجلة الأصالة، العدد 31، مارس 1976، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص 103 .

[2]- محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد...، المصدر السابق، ص 21- 22 .

صاحب الأمر، فإنني أنتظر قرارك ..." [1] ،لقد استغل الباي التونسي الحملة التي أصبح يشنها "أحمد باي" على خصومه وعلى بعض الأعيان الذين ناصبوه العداء مثل "فرحات بن سعيد" حتى يصوره للسلطان على أنه مستبد وغير مقبول لدى الرعية، وبذلك قد يستطيع الباي التونسي أن يوغر عليه صدر السلطان لأنه كما يقول "أحمد باي" في مذكراته كان يغار منه ويريد أن يضم بايلكه إلى ملكه .

وفي الوقت الذي كان فيه "أحمد باي" يبلي بلاء حسنا في ولائه للباب العالي، كان "حمدان خوجة" يحث السلطان على دعم الباي لمحاربة الفرنسيين ،فقد أورد الاستاذ "عبد الجليل التميمي" رسالة [2] بعثها "حمدان خوجة" للسلطان بتاريخ 16 أوت 1833م، يحث فيها السلطان و يستعطفه لدعم الحاج أحمد ومما جاء في هذه الرسالة "...إن سكان الجزائر ... يرجون تعيين أحد المواطنين ليحكم البلاد، كما تهبونه السيف و البدلة و لقب الباشا ... إن من يقع تعيينه من طرفكم سيكون مخلصا للباب العالي ... إن باي ولاية قسنطينة هو عبدكم الحاج أحمد باشا ... يكون من اللائق تعيينه باشا على البلاد، لم يتصالح الحاج أحمد مع الفرنسيين... إن المسلمين ... طلبوا منه تغيير لقبه من الباي إلى الباشا، حتى يكون رمزا .... السلطان في هاته الولاية... " [3] .

عبر "حمدان خوجة" في هذه الرسالة للباب العالي عن ضرورة دعم "الحاج أحمد"، حتى يتمكن من التصدي للفرنسين الذين احتلوا عنابة سنة 1832م، باعتباره يحظى بالقبول لدى الجزائريين كما تعمد "حمدان خوجة" على ما يبدو تذكير السلطان بأن "الحاج أحمد" رفض الاعتراف بسلطة الفرنسيين حتى يبين للسلطان الولاء الكبير الذي كان يكنه له على الرغم من العروض التي تلقاها من الفرنسيين، كما أن هذه الرسالة تؤكد ما ذكره المؤرخ "محمد العربي الزبيري" أن الفرنسيين اتهموا "حمدان خوجة" بأنه يعمل على نقل معلومات إلى قائد المقاومة في قسنطينة، خاصة وأنه في هذه الرسالة يحث الباب العالي على ضرورة دعم الباي وتوليته باشا على البلاد، ولذلك

[1]- المصدر نفسه، ص 23- 24 .

[2]- أنظر الملحق رقم :01

[3]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق ...، المرجع السابق، ص 168- 173 .

لم يدفعوا له تكاليف السفر أثناء قيامه بدور الوسيط في المفاوضات التي جرت بين "أحمد باي" والقائد الفرنسي "الدوق دو روفيغو" بعد احتلال عنابة،[1] وفي اعتقادنا أن هذه التهمة ليست مستبعدة عن "حمدان خوجة" مادام أنه كان يسعى لدعم مقاومة "الحاج أحمد" ويستعطف السلطان لذلك .

وفي المقابل لم تنس الدولة العثمانية واجبها تجاه "أحمد باي" وهي التي لم تتوقف عن مساعيها لاستعادة الجزائر منذ سقوطها تحت الاستعمار، فردت عليه برسالة تحمل ختم الوزير "رؤوف باشا" حملها له الوفد الذي كان قد أرسله من قبل إلى استانبول، [2] لكن رد الباب العالي في هذه الرسالة كان دون تطلعات الباي وأخبره أنه مرتبط بمعاهدة [3] مع الفرنسيين ولا يمكنه الدخول في حرب معهم ،[4] وفي المقابل يحث الباي على الصبر ومواصلة الجهاد وأهم ما جاء فيها " إن سلوككم إزاء الفرنسيين والاجابة التي تفضلتم بها على اقتراحاتهم يتفقان في نظري كل الاتفاق مع العدالة فاثبتوا على هذه السيرة ... ومما لاشك فيه إنني أريد نجدتكم ... وإذا قد مت لكم اقتراحات جديدة فأجيبوا عنها كذلك بتملص، وأوضحوا أنكم من رعايا القسطنطينية ... وأوصيكم خاصة أن تحيطوني علما بجميع الاقتراحات التي تعرض عليكم وابقوا في طاعتي..." [5]

---

[1]– حمدان بن عثمان خوجة :المرآة، تعريب: محمد العربي الزبيري، ش. و. ن. ت، ط2، الجزائر، 1982، ص39 .

[2]– يذكر أحمد باي أن الوفد الذي رجع من استانبول نزل بطرابلس ثم قدموا إليه، ولم ينزلوا بتونس رغم أنها أقرب الى قسنطينة، ولعل ذلك يعود لعلم الوفد بموقف الباي التونسي المتحيز للفرنسيين منذ إعلانهم الحرب على الجزائر بالإضافة الى توتر العلاقة بين أحمد باي والباي التونسي، كما سبق للباي التونسي أن منع طاهر باشا من النزول في تونس أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر
– أنظر: أحمد بن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان، ج3، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م، ص16.

[3]– يذكر الباب العالي لأحمد باي أنه مرتبط بمعاهدة سلم مع الفرنسيين لذا فلا يمكنه إعلان الحرب عليهم، ولكن إعلان فرنسا الحرب على الجزائر دون إعلام مسبق للباب العالي، هو خرق للمعاهدة المبرة بين الطرفين سنة 1740م أنظر :آرجمنت كوران ، المرجع السابق ،ص 40 .

[4]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الحديث ...، المرجع السابق، ص 135 .

[5]– محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي ...،المصدر السابق، ص 29-31 .

لقد حاول السلطان من خلال هذه الرسالة على ما يبدو أن يؤكد للفرنسيين شرعيته في الجزائر من خلال نصح "أحمد باي" بالرد على اقتراحات الفرنسيين على أنه من رعايا القسطنطينية، حتى يجعل مقاومة "أحمد باي" تظهر للفرنسيين أنها باسم السلطان وبالتالي يجعلها وسيلة ضغط على الفرنسيين في المباحثات بين الطرفين بشأن المسألة الجزائرية .

أما "الحاج أحمد" فانه كان يعلق آمالا عريضة على الباب العالي وينتظر منه وصول مساعدات عاجلة تمكنه من الوقوف في وجه الفرنسيين الذين احتلوا عنابة سنة 1832م، وتمكنوا من بجاية سنة 1833م، وبدأوا يزحفون نحو عاصمة بايلكه، ويتبين من خلال الآمال الكبيرة التي كان يعقدها على الباب العالي أنه لم يكن على دراية كافية بالوضع الذي أصبحت تعيشه الدولة العثمانية .

وفي مطلع عام 1836م، جدد "أحمد باي" آماله في الباب العالي لعله يسعفه بمساعدات عاجلة فعزز تواصله معه برسالة أخرى أرسلها إلى الوزير الاول "رؤوف باشا" حملها أحد أعوانه يدعى "بلهوان"، [1] ليؤكد الباي بذلك اخلاصه الكبير للباب العالي وفي المقابل يدعم شرعية هذا الاخير في الجزائر، وهو ما كانت تسعى إليه الدولة العثمانية خاصة بعد إلحاق الجزائر رسميا بفرنسا سنة 1834م [2] .

أما الرسالة التي بعثها "أحمد باي" إلى السلطان فهي تبين الوضع الحرج الذي أصبح يعيشه الباي باقتراب الفرنسيين من قسنطينة مع قلة عدته وعتاده، من أهم ما جاء فيها "...أنظر أيها السلطان كيف اصبحت ملاصقا للفرنسيين لقد استقروا في عنابة وأصبحوا في كل يوم يتقدمون ويتحصنون، ومن المكن أن أهاجم من لحظة لأخرى ... ولأهلك دون أن أستسلم إذا كانت تلك هي إرادتكم ،ولكن إذا أردتم أن نقاوم فابعثوا لنا بالنجدات ... وإذا رأيتم من المستحسن أن نستسلم إلى الفرنسيين فامروا بذلك ...ومن سوء الحظ فان الوضع الذي نحن فيه لا

[1]- ابو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الحديث ...، المرجع السابق، ص135 .

[2] - René Gallisot ,op-cit,p 24 .

يبشر بشيء آخر غير الطريقة الأخيرة ..." ،[1] لقد كان رد الباب العالي على رسالة "أحمد باي" غير مقنع، لذا نجد الباي في هده الرسالة يرفع من شدة استعطافه للسلطان ويطلب هذه المرة المساعدة المعنوية، وكذلك المساعدة المادية بإرسال له الجيوش والذخيرة الحربية، لكن الملفت للنظر أن الباي قرن في هذه المرة مواصلة الكفاح بإرسال المساعدات العاجلة من الدولة العثمانية وهذا ما يظهر الوضع الحرج الذي أصبح عليه، والحق أن "أحمد باي" قد خارت قواه قبل وصول الفرنسيين إلى قسنطينة، فمنذ سقوط الجزائر وهو يحارب الفرنسيين من جهة، ويحارب خصومه من ابناء جلدته أمثال "فرحات بن سعيد" شيخ العرب في الصحراء و" ابن زكري" شيخ قبيلة عبد النور من جهة أخرى، وفي هذه الرسالة يعبر عن حالة الضعف وكثرة المشاكل التي باتت تواجهه حتى أصبح في حيرة شديدة حيث يقول"... بالله عليكم خلصونا من هذه الحيرة ...".وعلى هذا اعتبر "ابو القاسم سعد الله" أن "أحمد باي" أسقطه الجزائريين قبل الفرنسيين [2].

والملاحظ أن الوفد الذي أرسله "الحاج أحمد" الى الباب العالي أستقبل استقبالا باردا [3] ولم ينل أي جواب منه سوى أنه وعده بإرسال رسول عنه إلى قسنطينة [4]، ولما تباحث مجلس الشورى في استانبول مضمون رسالة "الحاج أحمد" تقرر إرسال "كامل باي " [5] الذي كان يشغل منصب عقيد بالفيلق الثاني للجيش العثماني لاطلاع

[1]- محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي...،المصدر السابق، ص 31 – 32 .

[2]- ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية....، ج1، ص157 .

[3]- يبدو ان الباب العالي لم يرد بجواب مشجع لأحمد باي لأنه كان يخالجه نوع من الشك تجاهه، فلم يقدم له أي مساعدة حتى ارسل كامل باي ليطلع على الوضع في قسنطينة ،.ويعود ذلك الشك كما يقول أحمد باي في مذكراته إلى الرسائل التي بعثها الباي التونسي يشوه فيها سمعته لدى السلطان .

[4]- ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الحديث ...، المرجع السابق، ص 135 .

[5]- آرجمنت كوران : المرجع السابق، ص 91 .

على الوضع في قسنطينة، [1] ولكن لماذا أرسل الباب العالي رجل برتبة عقيد إلى قسنطينة ؟ ولماذا أرسل رجل عسكري وليس سياسي على الرغم من أن المهمة تبدو سياسية ؟

في اعتقدنا أن الأهمية الكبيرة التي كانت توليها الدولة العثمانية إلى "أحمد باي" والمسالة الجزائرية عموما، جعلها تختار رجلا ذو مواصفات معينة، خاصة وأنه تم التشاور كثيرا في مجلس الشورى على الشخصية التي سترسل إلى قسنطينة، وتم على ما يبدو تعيين شخصية عسكرية حتى تتمكن من رسم خطة لنجدة "أحمد باي" .

وقبل وصول "كامل باي" إلى قسنطينة اتصل الحاكم الفرنسي "الدوق دو روفيغو" بالحاج أحمد، وعرض عليه الاعتراف بسلطة الفرنسيين مقابل تثبيته على بايلكه، لكن الباي جدد إخلاصه للباب العالي ورد على الفرنسيين أنه لا يستطيع إبرام أي معاهدة دون الرجوع للسلطان العثماني [2] الذي يعتبره سلطانه وإليه يرجع أمره وبدلك أحال الفرنسين للاتصال بالسلطان مباشرة، [3] ولكن فيما يبدو أن "الحاج أحمد" كان أكثر دبلوماسية حتى يخفف من شدة عداء الفرنسيين له في وقت لم تصله أي نجدة من السلطان العثماني .

أما "كامل باي" فقد وصل إلى قسنطينة في جويلية من عام 1836م، [4] محملا بتعليمات من الباب العالي إلى "أحمد باي" يحثه فيها على الثبات ومواصلة الجهاد ضد العدو، كما وعده بتنصيبه خليفة على بايلك قسنطينة، في حين ينصب "الأمير عبد القادر" خليفة على بايلك الجزائر[5] .

---

[1]- صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826 – 1850، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 70.

[2]- يتظاهر أحمد باي أنه لم يكن يكن العداء للفرنسيين وأن سبب رفضه لعروضهم كان خارج عن إرادته، وربما ذلك يعود للوضع الذي كتب فيه مذكراته، فقد كان في يد الفرنسيين أثناء كتابته إياها فتعمد ذلك حتى يقلل من شدة نقمة الفرنسيين عليه، لكن في الحقيقة أن أحمد باي كان من ألد أعداء فرنسا .

[3] – محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي ....،المصدر السابق، ص35 .

[4]- صالح فركوس: الحاج أحمد ....المرجع السابق، ص70 .

[5]- صالح بن النبيلي فركوس: تاريخ جهاد الامة الجزائرية للاحتلال الفرنسي (المقاومة المسلحة 1830-1962)، دار العلوم، عنابة، 2012، ص163 .

وفي أوائل جويلية 1836م، عاد المبعوث العثماني "كامل باي" إلى استانبول بعد أن اطلع على الوضع في قسنطينة، محملا برسالة بعثها "الحاج أحمد" إلى السلطان يستعطفه فيها لمساعدته ضد الفرنسيين [1].

أما عن رد السلطان فإنه جاء سريعا و كان يختلف عن المرات السابقة، فقد كان أكثر إقناعا "للحاج أحمد" وطمأنه بنجدة عسكرية قريبة [2].

والملاحظ أن زيارة "كامل باي" قد زادت من أواصر التواصل بين الباب العالي و "الحاج أحمد"، فقد زالت تلك الشكوك التي كانت تخيل للباب العالي حول الباي بعد تعدد وشايات الباي التونسي ضده، واصبحت الرسائل تتداول بين الطرفين أكثر من أي وقت مضى، وصار الباب العالي يفكر بجدية لإرسال مساعدات "للحاج أحمد" .

وبعد الانتصار الكبير الذي حققه "الحاج أحمد" على الفرنسين أثناء حملتهم الاولى على قسنطينة في نوفمبر 1836م، أرسل رسالة إلى السلطان العثماني "محمود يبشره" فيها بذلك الانتصار[3] عن طريق "طاهر باشا" الذي نقل من وزير البحرية وعين حاكما على طرابلس في تلك الأثناء[4] .

وبعد وصول الرسالة الى الباب العالي جاء رده بأمر سفيريه في باريس ولندن لبذل مساعي لتعطيل الهجوم الذي يحضر له الفرنسيون مرة اخرى على قسنطينة، [5] وقرر إرسال نجدة سريعة الى المقاومة، وبالفعل وصلت تلك المساعدات إلى ميناء تونس وعددها أربع سفن مشحونة بالجنود ومحملة بـــ 12 مدفعا و150 من رجال المدفعية، لكن هذه المساعدات لم تصل إلى قسنطينة، فقد استولى عليها الباي التونسي مبررا ذلك أنه لا يريد أن

---

[1]- آرجمنت كوران :المرجع السابق، ص91 .

[2]- محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي ... ،المصدر السابق، ص 38 - 39 .

[3]- ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الحديث ...، المرجع السابق، ص138 .

[4]- آرجمنت كوران: المرجع السابق، ص99 .

[5]- المرجع نفسه، ص98 .

يدخل في حرب مع الفرنسيين، [1] والحقيقة غير ذلك، فالبايات التونسيون كانوا يكنون العداوة "لأحمد باي" على الاقل منذ احتلال الجزائر، لأنهم على ما يبدو كانوا يخشون أن يوليه الباب العالي على ولاية تونس بعد احتلال الجزائر، خاصة لما لمسه الباب العالي من تحيز الحكام التونسيين للفرنسيين على حسابه منذ احتلالهم الجزائر، وفي المقابل كان "الحاج أحمد" يظهر له ولاء كبير.

وقبل الهجوم الفرنسي الثاني على قسنطينة، اتصل القائد الفرنسي "الما يشال دامريمون" بـ "أحمد باي" عن طريق أحد اليهود يعرض عليه الاستسلام لفرنسا، لكن الباي الذي بدأ المفاوضات مع الفرنسيين في بادئ الأمر قطعها فجأة، ويعود ذلك لسماعه بخروج الأسطول العثماني من استانبول في جويلية 1837م، متوجها إلى السواحل المغاربية، وفي الوقت الذي كان يشع فيه وجه "الحاج أحمد" أملا بوصول المساعدات، خرج اسطول فرنسي لتعقب وحدات الاسطول العثماني، وبذلك فشلت محاولة الباب العالي في إعادة تونس إلى حكمه المباشر وذهبت أمانيه لنجدة المقاومة في الشرق .[2]

أما "الحاج أحمد" فإنه دخل يستعد لمواجهة الحملة الفرنسية التي وصلت إلى مشارف مدينته لاحتلالها، ونظرا لاختلال موازين القوى بين الطرفين وتعذر وصول المساعدات من الباب العالي، تمكن الفرنسيون من دخول المدينة واحتلالها في 13 اكتوبر 1837م، [3] وانسحب "أحمد باي" إلى الجنوب .

ورغم احتلال قسنطينة وعدم وصول أي نجدة من طرف الباب العالي إلى "الحاج أحمد" إلا أن هذا الأخير ظل وفيا للدولة العثمانية، فبعد انسحابه إلى الأوراس وجه رسالة إلى السلطان "محمود" ويشدد معه اللهجة هذه المرة

---

[1]- احميدة اعميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر ...،المرجع السابق، ص11 .

[2]- آرجمنت كوران: المرجع السابق ،ص114 .

[3]- محمد الصالح بن العنتري: فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها، مراجعة وتعليق يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص114 .

بتحميله ما آل إليه وضعه حيث كتب يقول "...ها أنا الآن طردت من قسنطينة ...وهل هذا هو جزاء ثقتي بكم وهل نفذتم ما وعدتموني به منذ سبع سنوات..." [1].

إن ما يمكن قوله أن "أحمد باي" لم يكن يتوقف ولاءه للباب العالي على مساعدات تقدم له، فرغم أنه كانت له شعبية كبيرة منذ سقوط الجزائر ولديه نظام حكم قائم وبايلك منظم وغني بل من أغنى بايلكات البلاد، إلا أنه لم يفكر في الاستقلال عن الباب العالي أو فعل مثل ما فعل "محمد علي باشا" في مصر مثلا، بل ظل وفيا للباب العالي حتى بعد سقوط قسنطينة، [2] و حارب الاستعمار باسم السلطان العثماني ورفض الاعتراف بسيادة الفرنسيين عليه، واستمر تواصله مع الباب العالي حتى بعد سقوط عاصمة بايلكه في وقت انصب فيه اهتمام الفرنسي على "الأمير عبد القادر"، الذي أصبح المزعج الحقيقي بعد سقوط قسنطينة، فقد عاد وحمل السلاح سنة 1839م، ولكن إذا علمنا مما تقدم أن "الحاج أحمد" كان بينه وبين الباب العالي تواصل مستمر ووثيق طيلة فترة مقاومته، فما حال الباب العالي مع المقاومة في الغرب التي كان يقودها "الامير عبد القادر" ؟ وكيف كان نظر "الامير عبد القادر" للباب العالي خاصة أنه كان ينتمي لأسرة لم تكن على علاقة طيبة مع أتراك الجزائر قبل الاحتلال ؟ وهل أن اتصاله بالسلطان العثماني لم يكن إلا بسبب حتمية سياسية فرضت عليه ؟ .

– المبحث الثالث: مقاومة الأمير عبد القادر و الباب العالي

كانت أسرة "الأمير عبد القادر" تتمتع بنفوذ كبير وسمعة طيبة في المنطقة الغربية من البلاد قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، وبعد سقوط الجزائر هرع أعيان المنطقة للأسرة الشريفة نظرا لسمعتها لمبايعة من يقودهم للجهاد ضد فرنسا، فتمت مبايعة عبد القادر بن محي الدين في نوفمبر 1832م لقيادة المقاومة.

[1]– محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي ...،المصدر السابق، ص82 .

[2]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ... ، المرجع السابق، ج1، ص40 .

و لما كان الأمير يسعى لتحرير البلاد و إقامة دولة حديثة، كان لابد له من إقامة علاقات واسعة مع أطراف فاعلة، فاعتمد منذ بداية جهاده على الطرف المغربي، وبالفعل قام سلطان المغرب "مولاي عبد الرحمان" بإعانته، ولكن إذا كانت علاقة الأمير مع سلطان المغرب بدت حسنة منذ بداية جهاده، فإن علاقته مع أغلب بقايا الأتراك من الكرا غلة في الجزائر طبعتها الهوة والانفصام، وازدادت الفجوة أكثر بسبب موقف الكثير منهم في تلمسان موقف مساند للاستعمار، هذا زيادة على أن الأمير كان يحمل الانكشارية التي كانت تحكم الجزائر المسؤولية التامة عن احتلالها .

أما السلطان المغربي فإن دعمه للأمير كلفه الدخول في حرب مع الفرنسيين سنة 1844م، والتي عرفت بمعركة "اسلي" [1] التي انكسر فيها الجيش المغربي، وتم على اثرها توقيع معاهدة "لالا مغنية" سنة 1845م التي تعهد فيها السلطان المغربي بعدم دعم ثورة "الأمير عبد القادر" مرة أخرى، ولكن هل يعني مما سبق أن "الأمير عبد القادر" رفض الاعتراف بالباب العالي في بداية جهاده خاصة أنه لم يكن على علاقة حسنة مع أتراك الجزائر؟ وهل اتصاله بالباب العالي فيما بعد لم يكن إلا حتمية سياسية دولية فرضت عليه بسبب تنكر السلطان المغربي له مثلا ؟ وكيف كانت نطرته للباب العالي أثناء فترة جهاده ؟ وما موقف هذا الاخير من مقاومة الأمير عبد القادر ؟

ذكرت الكاتبة "الأميرة بديعة الحسني" أن "الأمير عبد القادر" اتصل بالسلطان العثماني منذ بيعته الأولى سنة 1832م، لكن رسائله لم تصل إليه، و قد يكون حكمها أقرب الى الصواب خاصة ما احتجت به أن الأمير في رسالته التي أرسلها إلى السلطان "عبد المجيد" [2] و المؤرخة في ديسمبر 1841م، يصرح فيها انه ارسل العديد من

---

[1]- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة دار النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص 87.

[2]- السلطان الحادي والثلاثون من سلاطين آل عثمان حكم ما بين 1839م -1861م، تم في عهده استسلام الأمير عبد القادر ثم أحمد باي واعترفت الدولة العثمانية أثناء فترة حكمه باحتلال الجزائر سنة 1847، وفي عهده رحل الامير إلى بورسة سنة 1853م و في سنة 1856م استقر بدمشق وهي السنة التي انتهت فيها حرب القرم أنظر : حضرة عزتلو يوسف بك آصف، المرجع السابق، ص120 – 122 .

الكتب و الرسائل لكن لم يرده أي جواب من السلطان حيث يقول "... ولما لم يكن سبيل الى وصول كتابنا فضلا عن انفسنا اليك ترانا نكرر الرسائل لذا لا ندري ما وصل منها و ما لم يصل فكم من كتاب كتبناه و لم يأتينا من حضرة سيدنا جواب ..."[1]، و إذا لم يكن كلام الأمير هذا مجرد مداهنة سياسية، فالأمير كان يريد الذهاب الى الباب العالي لالتماس المساعدة منه و عرض حال الجزائريين عليه، إلا أنه لم يكن له سبيل الى ذلك، حيث يقول في هذا الصدد"...ولما لم يكن سبيل الى وصول كتابنا فضلا عن أنفسنا إليك ..."، و إذا لم يكن هذا إلا تظاهرا من الأمير لكسب تأييد الباب العالي و لتبرير تأخر اتصاله به، فماذا نقول عن تصريحه في مراسلة لـ" حمدان خوجة" مؤرخة في ديسمبر1841م، أنه لم يكاتب "آل عثمان "من قبل هذا الوقت خشية عدم الرد عليه، و بالتالي فمن الأرجح ان الأمير كان يداهن السلطان سياسيا قصد تحسين صورته لديه، خاصة و أن "أحمد باي" قد وصف الأمير في إحدى رسائله بالتمرد عن السلطان و الموالي للفرنسيين،[2] ولكن بالرغم من هذا إلا ان اتصال الأمير بالسلطان قبل 1841م يبقى محتملا بالنظر لما أوردته الكاتبة "الأميرة بديعة" .

وإذ علمنا أن "الامير عبد القادر" وجه رسالة الى السلطان العثماني في ديسمبر 1841م،بل ان الاستاذ "عبد الجليل التميمي" يذكر أنه راسله في أكتوبر 1840م، [3] فإن هذا يثبت على ما يبدو أن مراسلة "الأمير عبد القادر للباب العالي" لم تكن بسبب تنكر السلطان المغربي له، لأن تنكر هذا الأخير لم يكن إلا بعد أن وقع معاهدة "لالا مغنية" مع الفرنسيين سنة 1845م [4].

ومن جهة أخرى يغزو الاستاذ "عبد الجليل التميمي" توجه "الأمير عبد القادر" الى الباب العالي بسبب انه كان يمني النفس لإقامة علاقات دبلوماسية و اقتصادية قوية مع إنجلترا كطرف دولي فاعل، فراسل الإنجليز بتاريخ 12

[1]- الأميرة بديعة الحسني الجزائري: وما بدلوا تبديلا، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص 26- 27 .
[2]- عبد الجليل التميمي : بحوث ووثائق ... ،المرجع السابق، ص 228 .
[3]- المرجع نفسه ص 202 .
[4]- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر...،المرجع السابق، ص 87.

افريل 1840م، وعرض عليهم منحهم ميناء تنس حتى يقيم تجارة خارجية قوية وعلاقات سياسية متينة تكون لصالحه، إلا أن الإنجليز رفضوا عرضه، وبذلك لم يبق للأمير سوى التوجه إلى الدولة العثمانية لكسب تأييدها، [1] وبالتالي فإن مراسلته للباب العالي، على حسب "التميمي" حتمية فرضتها الأوضاع السياسية ولم تكن قبل 1840م .

ومهما يكن، سواء كان اتصال الأمير بالباب العالي قبل سنة 1840م أو بعدها، أو كان اتصاله بالدولة العثمانية لحتمية سياسية أو غير ذلك، فالأمير رغم وقوفه موقف معاد لحكام الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي بالإضافة الى علاقته السيئة مع طائفة واسعة من بقايا الأتراك من الكرا غلة، فإن موقفه و نطرته للدولة العثمانية و السلطان العثماني لم تكن كذلك، ولو افترضنا أنه لم يراسل السلطان العثماني في بداية جهاده، فلا يعني ذلك انه كان على عداوة معه، وإن كان الأمير نفسه يذكر أنه راسله مرات عديدة لكن رسائله لم تصل اليه.

وفي الجهة المقابلة نجد أن الباب العالي وبفضل الانتصارات الكبيرة التي بات يحققها "الأمير عبد القادر" على الجيش الفرنسي في الغرب، قد جعله ينطر الى مقاومة الأمير بأكثر جدية، فقد أصبحت الصحف تتناقل أخبار انتصارات الأمير على الفرنسين، وهذا ما اطلع عليه السفير العثماني في لندن بتاريخ 1 مارس1835م، عند زيارته للسفير الروسي وأثناء ذلك قام السفير العثماني بالتباحث مع الطرف الروسي في قضية ثورة "الأمير عبدالقادر"،[2] والحق ان ثورة الأمير ذاع صيتها مند أن وقع معاهدة "دي ميشال" مع الفرنسين في 26 فيفري 1834م،[3] وهذا ما أدى بسلطان المغرب "عبد الرحمان بن هشام" للاعتراف به ، كما أن فرنسا من الناحية القانونية تكون قد اعترفت به بتوقيع معه هذه المعاهدة .

[1]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق ... ،المرجع السابق، ص 202 .
[2]- آرجمنت كوران: المرجع السابق، ص86 .
[3]- عبد الحميد زوزو : المرجع السابق، ص 07.

ورغم ذيوع صيت مقاومة "الأمير عبد القادر" بالانتصارات المحققة على الفرنسين و كسبه اعترافات دولية، إلا أن الباب العالي لم يتصل بالأمير على الرغم من المساعي الكبيرة التي كان يبذلها لاستعادة الجزائر و رغبته في خلق أكبر العراقيل لفرنسا فيها، حتى تتخلى عنها لصالحه، وقد يعود ذلك لعدم و صوله أي رسالة أو رسول من طرف "الأمير عبد القادر" في وقت الذي كانت فيه رسائل قائد المقاومة في الشرق "احمد باي" تترى على السلطان العثماني ، لهذا يقول المؤرخ "اسماعيل العربي" [1] أن العلاقة بين الباب العالي و"الأمير عبد القادر" قبل 1840م، كانت علاقة تجاهل بين الطرفين، ولكن حتى و إن كان التواصل بين الأمير والباب العالي لا يوجد ما يؤكده قطعا قبل 1840م، إلا ان الانتصارات التي بات يحققها الأمير على الجيش الفرنسي كانت على ما يبدو من العوامل المشجعة للدولة العثمانية على اتخاد خطوات جريئة تجاه القضية الجزائرية منذ إلحاق طرابلس الغرب في ماي 1835م، فأصبح الاسطول العثماني يتحرك اكثر في البحر المتوسط و بالقرب من السواحل التونسية، وجعل ذلك الباب العالي يفكر أكثر في الحل العسكري لصالح المسألة الجزائرية، في الوقت الذي كان فيه لهيب المقاومة في الشرق بقيادة "أحمد باي" و في الغرب بقيادة "الأمير عبد القاد"ر.

وعندما قام الأمير بتوقيع معاهدة "تافنة" في ماي 1837م، مع الجنرال "بيجو" والتي بالرغم من أنها أرجعت للجزائريين جزء كبير من أراضهم، [2] إلا أن الباب العالي أبدى منذ سماعه بها رفضه القاطع، و احتج السفير العثماني في باريس "نوري افندي" أمام السلطات الفرنسية على العمل الذي أقدمت عليه بتوقيع معاهدة مع أحد رعايا القسطنطينية دون الرجوع للدولة العثمانية صاحبة الارض و الاهل، و جاء ذلك في رسالة موجهة لوزير

[1]- اسماعيل العربي : العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص . 270

[2]- Kateb Yacine , Abed el Kader et l'indépendance Algérienne , S . N . E . D , Alger ,1983 ,P23.

الخارجية الفرنسي بتاريخ 11 جوان 1837م، [1] والغالب أن هدف الفرنسيين من عقد هذه المعاهدة هو التفرغ للقضاء على مقاومة "الحاج أحمد" في الشرق، على الرغم من أن الفرنسين اعترفوا بأن تكون أجزاء واسعة من الجزائر تحت سلطة الامير، وكان ذلك بعد فشلهم في عدة مبادرات لعقد صلح مع الحاج "أحمد باي" .

أما الباب العالي فإنه أ صبح أكثر حيرة من ذي قبل، فهو الذي ارتاح منذ أن انتشرت أنباء انتصارات الأمير على الفرنسين، ولكن سرعان ما انطفأ هذا الارتياح بتوقيع الفرنسين معاهدة "تافنة" مع "الأمير عبد القادر" و لهذا احتج "نوري افندي" مرة أخرة لدى السلطات الفرنسية بتاريخ 26 أوت 1837م، وصرح أن سلطات بلاده لا يمكن أن تعترف بهذه الاتفاقية، لأن الباب العالي كان يرفض أي تصالح مع الفرنسين في ما يخص الجزائر وهذا ما كان يحث به "أحمد باي" في رسائله،[2] و يلاحظ أنه لا توجد أي رسالة بعثها الباب العالي لـ "أحمد باي" من دون أن يحثه فيها على الثبات و عدم الاعتراف بالفرنسين و عدم إقامة صلح معهم إلا باستشارته، لذلك كان نبأ اعتراف الأمير بالفرنسين خبر صعب على الباب العالي تجرعه، خاصة و انه لم تصله أي رسالة أو وفد من "الأمير عبد القادر" يثبت ولاءه له و يؤكد سلطته عليه.

و في الوقت الذي كان "نوري افندي" يتباحث مع السلطات الفرنسية بشأن معاهدة "تافنة"، كان السفير العثماني في لندن "رشيد باشا" يجري مباحثات مع وزير الخارجية الانجليزي "اللورد بلمر ستون" أملا للوصول إلى صيغة لتعطيله هذه المعاهدة، [3] و بالرغم من أن الباب العالي كان يبدي اهتماما بمقاومة "الأمير عبد القادر" ويحاول ابطال معاهدة "تافنة" لأنه كان على علم بنوايا فرنسا وهو تكسير المقاومة الجزائرية، إلا أنه حتى هذه الفترة لا نجد ما يؤكد قطعا وجود تواصل بينه وبين "الأمير عبد القاد"ر .

[1]- . اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص274.

[2]-. آرجمنت كوران: المرجع السابق، ص 103.

[3]-. اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 275.

و على أي حال يمكن القول أن علاقة "الأمير عبد القادر" أثناء مقاومته بالباب العالي مرت ظاهريا بمرحلتين : الأولى منذ بداية جهاده حتى 1840م، و التي لا يوجد ما يؤكد قطعا أنه كانت هناك صلات بين الطرفين و المرحلة الثانية و التي تبدأ منذ سنة 1840م، أي منذ ظهور أول تواصل بين الأمير و الباب العالي الى غاية انتهاء فترة المقاومة .

أما عن فضل اتصال الأمير بالسلطان العثماني "عبد المجيد"، فيعود لـ "حمدان خوجة" الذي بذل مساعي كبيرة من أجل قضية الجزائرية في كل من فرنسا و استنبول و راسل السلطان العثماني وحثه على ضرورة دعم المقاومة في الجزائر، خاصة بعد أن قرر الفرنسيون الاحتفاظ بالجزائر سنة 1834م، [1] وفي إطار ذلك راسل "الأمير عبد القادر" و حثه على ربط علاقات مع الدولة العثمانية و توحيد الجهود لتحرير الجزائر، و هذا على ما يبدو كان من الأسباب المشجعة للأمير للاتصال بالباب العالي في 24 اكتوبر 1840م، برسالة يبين فيها أن اتفاقه مع الفرنسيين لم يكن منه إلا للحيلة التي يجوز استعمالها في الحرب مع الكفار و أنه لم يخرج في ذلك عن مبادئ الاسلام، مكذبا الادعاءات التي وصفته أنه والى الفرنسيين ضد "أحمد باي" [2]

و في ديسمبر 1841م قام "الأمير عبد القادر" بالتواصل مرة أخرى بالباب العالي و في هذه المرة أرسل ثلاث رسائل، و احدة موجهة للسلطان "عبد المجيد"، و أخرى موجهة للصدر الأعظم "رشيد باشا"، و الثالثة موجهة إلى "حمدان خوجة" الذي أصبح كاتبا لدى الصدر الأعظم "رشيد باشا"، و كان ذلك عن طريق الحكومة الانجليزية التي أوصلت هذه الرسائل الى القائم بأعمال السفارة العثمانية في لندن بداية 1842م [3] .

[1]- Djeghloul Abdelkader, Elements D' histoire Culturelle Algérienne, E. N. L, Alger, 1984, P 167 .

[2]- اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص277 .

[3]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق ...، المرجع السابق، ص 205 .

أما عن الرسالة [1] التي وجهها "الأمير عبد القادر" الى السلطان العثماني "عبد المجيد" فيعتبره انه حامي المسلمين ويعترف بخلافته و سلطانه عليه فقد كتب فيها يقول " ....الى سلطان السلاطين... إلى سيدنا و ابن سيدنا الى الجد عثمان السلطان عبد المجيد خان ...."و لم يعترف الأمير بخلافته السلطان "عبد المجيد" فقط بل اثبت شرعية الخلافة لآل عثمان من جدهم الأول، كما ميز بين نطرته لحكام الجزائر الاتراك قبل الاحتلال الذين يحملهم مأساة الجزائر، وبين نطرته للباب العالي حيث يقول".... ان الينشارية [2] ... لما خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين... سلط عليهم من لا يرحمهم..."، ويبرر الأمير موقفه من الكرا غلة في تلمسان بسبب تعاملهم مع العدو ضده، حيث تجمعوا افي قلعة المشور و طلبوا التحالف مع الفرنسين فكتب يقول " ... ثم ذهبوا الى تلمسان باتفاق الينشري (و يقصد بهم بقايا الأتراك و الكرا غلة) الذين بها، وما من مدينة من مدن الاسلام دخلها الكفار الا كان الينشري هم دعاتهم اليها و مرسليها ..."[3]، والظاهر هنا أن الأمير كان يدرك علم الباب العالي بموقفه المعادي لحكام الجزائر قبل الاحتلال، خاصة إذا علمنا أنه قبل الرد على رسائله تم مناقشة موقفه من الاتراك والكرا غلة، لهذا رغب الأمير في ذكر الواقعة و تبرير موقفه منها.

اما عن معاهدة "تافنة" فقد كتب "... و لما رأءا (كذا) عدو الله ما بلغه من المشقة ... طلب الصلح من المسلمين على مال يدفعه للمجاهدين فأجبناه...."، و يذكر الأمير انتقاض صلحه مع الفرنسين و كيف اصبح حاله و حال المسلمين "... فانتقض الصلح بيننا و اشتعلت الحرب ... بترادف الحملات و عجز الناس عن دفن

[1]- للإشارة أن أبو القاسم سعد الله يشكك في هذه الرسالة ويعتبر أن اسلوبها بعيد عن اسلوب الأمير عبد القادر .أنظر شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة و تعليق، ابو القاسم سعد الله، الدار التونسية ،تونس، 1974 ، ص 313 .

[2]- الينشارية ويقصد بها الانكشارية التي كانت تحكم بالجزائر .

[3]- ناصر الدين سعيدوني : الجزائر منطلقات و آفاق، عالم المعرفة، الجزائر، 2008، ص 100-101 .

الموتى... إن جيش الكافر المقابل يناهز المية (كذا) الف سلاح تام و صواعق و مدافع ... اذا ليس لنا قوة بارود و لا سلاح و لا مدافع مثل ما عنده ..."[1] .

ذكر الامير للسلطان معاهدة "تافنة" [2] مبررا عقدها مع الفرنسين، لأنه على ما يبدو كان على علم بمعارضة الدولة العثمانية لها، خاصة أن الأمير كان يطالع الصحف التي كان يترجمها له " ليون روش" ثم العقيد " اسكوت" من بعده، وبعد معاهدة "تافنة" يتطرق الأمير لأهم شيء و الذي بعث من أجله الرسالة، وهو ضرورة دعمه على الفرنسيين و تبيين حالة الضعف لدى المسلمين و مقارنتها بقوة أعدائه مقابل ضعف الجزائريين وقلة سلاحهم و عتادهم.

ويختم الأمير كلامه بتعبيره عن حاجة الجزائريين للسلطان و نظرتهم اليه " ... و المسلمون بهذا القطر لا ينتظرون من غيرك افراج و لا لهم ملجأ يلجئون اليه، غير حصنك العالي الادراج ...فإن قيل المال ، عندك المال وافر، وإن قيل جيش عندك عسكر البحر...و لولا خوفي على المسلمين من العدو، ما لازمت سكونا و لا هدوء حتى أقف بين يديك، و اقص من اخبار المسلمين بهذا القطر عليك...» ويبن تعدد كتاباته للسلطان قبل هذه الرسالة "... ولما لم يكن سبيل الى وصول كتابنا، فضلا عن انفسنا ترانا نكرر المكاتب إذ لم ندر من وصل منها، ومن لم يصل..."،[3] لقد عبر الأمير في هذه الرسالة عن الوشائح الروحية التي يكنها للسلطان العثماني، بل عبر عن شعور كافة الجزائريين الذين يعتبرون السلطان خليفتهم وحاميهم، فهو يرى أن السلطان ملجأه الوحيد الذي يمكن ان يعينه خاصة بعد أن تنكر الانجليز لعرضه في اقامة علاقات دبلوماسية و اقتصادية بمنحهم ميناء تنس،

[1]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق ... ، المرجع السابق، ص 224 .

[2]- صرح الأمير بمعاهدة تافنة للسلطان العثماني على عكس ما ذكره اسماعيل العربي في كتابه" العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر" أن الامير لم يذكر في مراسلة للباب العالي معاهدة تافنة لعلمه بمعارضته لها. أنظر: اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 279 .

[3]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق ... ،المرجع السابق، ص 225 .- 226 .

و يلاحظ أن الأمير كان يعلق امالا عريضة في مساندة الباب العالي له و إعانته بالأسلحة و حتى بالجيش، ولكن على ما يبدو انه لم يكن على علم بالوضع البائس للدولة العثمانية، و عدم قدرتها حتى على حماية سلطانها من التدخلات المتزايدة في شؤونها، كما أن تبيينه لمراسلاته المتكررة للسلطان قبل هذا التاريخ قد يوحي لرغبته في كسب عطفه أكثر من أي شيء آخر.

كما وجه الأمير أيضا رسالة [1] أخرى تحمل نفس التاريخ إلى الصدر الأعظم "رشيد باشا" يعبر له فيها عن أمله في إعانته بتشجيع السلطان على مد يد العون و المساعدة له حتى يتمكن من قهر العدو الفرنسي، و تمكين الجزائريين في بلادهم [2] و الذين يعتبرون من رعايا القسطنطينية و بالتالي فالدولة العثمانية هي المسؤولة الأولى عن مصير الجزائريين"....فأنه ليس للمسلمين حصن غير حصنكم يلجئون اليه، و انتم المكلفون بالإسلام ...و الله سايلكم (كذا) عن أمثالنا الضعفاء..."[3]

أما الرسالة الثالثة فقد وجهها الأمير الى "حمدان بن عثمان خوجة"، و الذي كان يبذل مساعي كبيرة من أجل الجزائر لدى السلطات العثمانية منذ رحليه الى استانبول سنة 1836م، و في هذه المراسلة يعبر لـ "حمدان خوجة" عن سداد رأيه بنصحه لمراسلة السلطان و استعطافه لمساعدته و توحيد الجهود لتحرير البلاد، فكتب يقول "...فقد اعتمدنا اشارك بهذا الرأي الرشيد و استعطفنا سيدنا و مولانا السلطان عبد المجيد و عرضنا على حضرته العالية حالنا و عرفناه أفعالنا وأقوالنا...فاذا استشرفك سيدنا على كتابنا اليه، فأكد ملامحه ما تلقى الله به وعليه

[1]- أنظر الملحق رقم: 02.
[2]- صالح بن النبيلي فركوس: جهاد الأمة الجزائرية .....،المرجع السابق، ص42.
[3]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق ... ،المرجع السابق، ص 227 .

..."[1] فحث الأمير "حمدان خوجة" عن عرض القضية الجزائرية على السلطان العثماني و استعطافه لتقديم مساعدات له، و ذلك لأن "حمدان خوجة" أصبح يشغل منصب كاتب لدى الصدر الأعظم "رشيد باشا"

بعد رحيله إلى استانبول سنة 1836م، وأصبح يحضر اجتماعات التي تخص قضايا المغرب ويترجم الرسائل الواردة من المنطقة من العربية إلى التركية .

كان الأمير "عبد القادر" يرى في الدولة العثمانية السلطة الدينة العليا، التي يمكنها أن تساعده على مواصلة جهاده ضد عدو كافر تسلط على أرضه، و هذا ما تعكسه الرسائل التي وجهها إلى الباب العالي، و يعترف بالخلافة لآل عثمان، فالأمير كغيره من الزعماء المسلمين يرون في السلطان العثماني حامي المسلمين و السلطة الروحية التي تشد أزر المسلمين و تلم تشتتهم [2]، و فيهو ليس كما يعتبره "هنري تشرشل"[3] أنه لا يريد الاعتراف بآل عثمان و سلطتهم عليه إلا بمساعدة عاجلة ترسل اليه حالا تمكنه من الوقوف ضد العدو، فـ "تشرشل" يريد أن يقول أن الأمير لم تكن له علاقة طيبة مع العثمانيين، و إنما الضرورة فقط هي التي دفعته للاتصال بهم، ولكن إذا كانت علاقة الأمير ليس حسنة مع الدولة العثمانية فلماذا اختار الهجرة الى القسطنطينية أو الاسكندرية أو عكا وكل هذه الاماكن أراضي العثمانية [4].

و بالرجوع الى الرسائل التي بعثها الامير إلى الباب العالي، فإن الأخير قد رد عليه برسالة دون تاريخ [5] أهم ما جاء فيها "...لقد أظهرتم شجاعة و اخلاصا بقيادتكم أمر المسلمين إنكم بذلك قد اطعتم رضى الباري،

---

[1]– المرجع نفسه ،ص 228 . .

[2]–صالح بن النبيلي فركوس: جهاد الامة الجزائرية .....،المرجع السابق، ص 43- 44 .

[3]- شارل هنري تشرشل: المصدر السابق، ص 19 .

[4]– أعمال الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية ،18- 19فيفري2014، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، ص163.

[5]– أنظر الملحق رقم: 03

وكذلك الباب العالي ...أما نحن فسوف لن نتردد في مكافئتكم لما تستحقونه من الرعايا و سوف ننفذ كل ما نراه لائقا، إننا بتبيننا الألغاز في رسالتنا نطلب منكم أن تكتموا أمرهاته القضية و ذلك لأهميتها .."[1] .

و بهذا جاء رد الباب العالي على رسائل الامير عبد القادر دون أي مدد له سوى تشجيعه على مواصلة الجهاد،

والحق أن الوضع التي آلت اليه الدولة العثمانية و الذي اصبح ينذر بالخطر لم يعد لها إمكانية في التحرك تجاه القضية الجزائرية، إلا بإرسال رسائل روحية تشجع على الصبر ومواصلة الجهاد، فالمسألة الشرقية كانت على أشدها ولم تستطع الدولة حتى حماية سلطانها أمام والى من ولاتها هو "محمد علي باشا"، فما بالك بمساعدة المقاومة في الجزائر .

و في نهاية هذا الفصل يمكننا القول أن الباب العالي لم يرض باحتلال الجزائر، و بذل نشاطا دبلوماسيا كبيرا لإنهاء الاحتلال أملا منه في استرجاع الجزائر الى لحضيرة العثمانية، ولكن وبعد تأكده من استحالة استرجاع الجزائر بالطرق الدبلوماسية حاول استعمال القوة، فألحق طرابلس الغرب لإدارته المباشرة سنة 1835م، و أراد اخضاع تونس لكنه فشل في ذلك، كما حاول ارسال مساعدات لأحمد باي الذي كان يقود المقاومة في الشرق إلا أن هذه المساعدات لم تصل الى الباي الذي عبر مرارا عن ولاءه الكبير للسلطان، و في الوقت الذي كان فيه أحمد باي يتزعم المقاومة في الشرق الجزائري، كان الأمير عبد القادر يتزعمها في الغرب، والذي رغم ما عرف عنه بعداءه لأتراك الجزائر، إلا أن نظرته للدولة العثمانية كانت مختلفة تماما، وما اختياره بعد نفيه الهجرة الى الديار العثمانية إلا خير دليل على الوشائج الروحية التي كانت تربطه بدار الخلافة .

---

[1]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق ... ،المرجع السابق، ص229.

أما الباب العالي فإنه مع مرور الوقت ومع عجزه عن تقديم مساعدات لأحمد باي ثم الأمير عبد القادر و تيقنه من استحالة استرجاع الجزائر اعترف بالاحتلال الفرنسي لها سنة 1847م، [1]وفي السنة نفسها استسلم الأمير و في العام الموالي استسلم أحمد باي، ولكن هل بهذا يعني أن الصلات انقطعت بين الجزائريين و الدولة العثمانية و زال كل شعور ربط بينهما يوم ما ؟.

[1]- آرجمنت كوران : المرجع السابق ،ص 114 .

الفصل الثاني: المهاجرون الجزائريون و الدولة العثمانية

المبحث الأول: الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية

المبحث الثاني: أسرة الأمير عبد القادر و الدولة العثمانية

عبر الجزائريون عن رفضهم للاستعمار الفرنسي منذ أيامه الأولى وتبعيتهم للدولة العثمانية بالهجرة زرافات ووحدانا إلى الديار العربية والإسلامية، وكانت الأراضي العثمانية هي أول ما شد انتباه الجزائريين للاستقرار فيها، لكن هجرة الأمير عبد القادر نحو تلك الديار لم تكن كهجرة احد من الناس، فقد كانت سببا في تزايد حركة الهجرة الجزائرية نحو الديار العثمانية بصفة عامة وبلاد الشام بصفة خاصة، واستقر الجزائريون بتونس والإسكندرية واستانبول وطرابلس ولعل من أهم هذه المناطق بلاد الشام .

-المبحث الأول: الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية

شكلت الهجرة الجزائرية بعد الاحتلال نحو الديار العثمانية هاجسا أصبح يراود كل جزائري منذ أن استولى الفرنسيون على أرضه، وبما أن الكافر تسلط على أرض المسلمين وضيق عليهم في دينهم، فإن الاعتقاد الذي ساد لدى الجزائريين هو الهجرة من هذه الديار الى الديار الإسلامية الأخرى، فقاسوا بذلك هجرة الأوائل الى الحبشة وظهرت فتاوى تحرم البقاء في هذه الأراضي التي تسلط عليها الكافر.[1]

أما عن الوجهة فكانت أغلبها تجاه الدولة العثمانية ومختلف إيالتها، وكان ذلك بسبب ما مس الجزائريين من النظام الاستعمار الفرنسي، الذي تدخل في شؤونهم واستخف بعقيدتهم، وغير أحوالهم، مما ولد شعورا لدى الجزائريين تجاه العثمانيين الذين كانوا يحكمونهم قبل مجيء المستعمر الفرنسي، على الرغم ما عرف به العهد العثماني في الجزائر أواخر أيامه، من تعسف الحكام وتعدد مظالمهم، فتحسر الجزائريون على الحكم السالف، لما رأوه من بطش النظام الجديد الذي تسلط عليهم فآثروا بذلك الهجرة نحو الديار العثمانية .

[1]- ابو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1996 ، ص194.

والملاحظ عن هذه الهجرة أن الجزائريين لم يكونوا مجبرين عليها، فاغلبهم اختارها بمحض إرادته، بل على العكس من ذلك فقد عملت السلطات الفرنسية على كبح حركة هذه الهجرة، [1] وعملت على استصدار فتوى تحرم الهجرة، مثل تلك التي جاء بها "ليون روش " من علماء الأزهر والقيروان ومكة والتي كانت من تلفيق الإدارة الفرنسية، بتزوير ختم العلماء الأكابر من الأماكن المذكورة . [2]

لقد هاج الجزائريون للهجرة نحو الديار العثمانية على الرغم من مساعي السلطات الفرنسية للحد من هذه الظاهرة، التي تظهرها للراي العام الخارجي أنها فشلت في تسيير هذه المستعمرة بعد فترة قصيرة، وتبين مدى تعرض الجزائري للظلم في أرضه، لأنه لم يكن ليهاجر منها لو كان عزيزا، وبما أن الجزائريين قد ربطوا بعلاقات مع العثمانيين منذ القرن السادس عشر واقترن وجودهم بفترة حرجة في المتوسط بمنع سقوط العدوة المغاربية في قبضة المسيحيين وتحرير الجزائر من الاستعمار الإسباني، فإن أخبارهم توارثها مخيالهم الشعبي وولد شعورا طيبا تجاههم ما جعل الجزائريين يهرعون للعيش تحت المظلة العثمانية، رافضين البقاء تحت الحكم الفرنسي .

ونتيجة لذلك ازداد عدد المهاجرين الجزائريين نحو الديار العثمانية منذ السنوات الأولى للاحتلال، وهذا ما تؤكده رسالة بعث بها السفير الفرنسي بدمشق الى سفير بلاده في استانبول في ديسمبر 1835م، حيث صرح أن أعددا هائلة من المهاجرين المغاربة وفي مقدمتهم الجزائريين وصلوا إلى دمشق، [3] وبعد فترة قدر عدد الجزائريين في سوريا بـ 25.200 نسمة حسب إحصاءات السلطات الفرنسية التي لا يمكن الاعتداد بها سواء خص الأمر سوريا أو غيرها، لأن أغلب الجزائريين كانوا يرفضون التعامل مع

[1]- عمار هلال :الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847- 1918، دار هومة ، الجزائر، 2007، ص13 .
[2]- ابو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء ...، المرجع السابق، ص194 .
[3]- عمار هلال: الهجرة الجزائرية ...، المرجع السابق، ص 20 .

الادارة الفرنسية بأي شكل من الأشكال وتسجيلهم في قنصليتها يعتبر في نظرهم اعترافا بها، فكثيرا ما تفاجأت هذه السلطات بوصول أعداد هامة من المهاجرين إلى بلاد الشام دون علمها،[1] وكانت سوريا وفلسطين ولبنان، من أهم المناطق العثمانية التي قصدها الجزائريون كما هاجروا إلى تونس أيضا بأعداد هائلة منذ الايام الاولى للاحتلال وذلك لقرب المسافة وسهولة الهجرة عن طريق البر، ولكن الجدير بالملاحظة أن الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى، لم تكن بأعداد هامة إذا ما قارناه بالإيالات العثمانية على الرغم من قرب المسافة وسهولة الهجرة مقارنة بسوريا أو لبنان أو مصر مثلا، وهذا ما يدل على أن الجزائريين كانوا يفضلون الهجرة للمناطق التابعة للحكم العثماني .

والظاهر أن ما كانت تمثله الإمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت، من أنها الدولة الإسلامية الوحيدة التي كانت تمثل رمز المسلمين وتحاول أن تقوم بمبادرات لصالحهم رغم ضعفها، كما أنها تمثل نقيض للنظام المسيحي الذي تسلط على الجزائريين، فتسببت هذه العوامل في توليد شعور لدى الجزائريين للهجرة نحو الديار العثمانية.[2]

وازدادت حركة الهجرة لما أصبح يعشه الجزائريون من ظلم وتحقير لدينهم، فقد اعتبرت السلطات الفرنسية الديانة اليهودية في مرتبة أعلى من الإسلام منذ سنة 1845م،[3] وعرفت الجزائر موجة أخرى من الهجرة شملت خاصة عائلات الأفراد الذين كانوا يرفعون لواء المقاومة، وربما يعود ذلك لخوفهم من

---

[1]- عمار هلال: ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر1830- 1962، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1995، ص90 .

[2]- محمد غالم: من ارشيف الادارة الاستعمارية في الجزائر: الوثائق الفرنسية والهجرة الى الديار الاسلامية، مجلة انسانيات، العدد12 ،سبتمبر- ديسمبر2000، تصدر عن مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، ص30 .

[3]- نادية طرشون : الهجرة الجزائرية الى بلاد الشام في مطلع القرن العشرين، مجلة دراسات تاريخية، العدد 27- 28 سبتمبر- ديسمبر 1987، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب، دمشق، ص 168 .

انتقام السلطات الفرنسية بعد توقف المقاومة، وقد توزع الجزائريون في الولايات العثمانية المختلفة، وإذا عرفت بلاد الشام على أنها من أهم الايالات العثمانية التي هاجر إليها الجزائريون فإن تونس لا تقل أهمية عنها.

-الهجرة الجزائرية نحو تونس :

بدأت الهجرة الجزائرية نحو تونس منذ بداية الاحتلال، وبأعداد هائلة حتى انه قدر عدد المهاجرين الجزائريين بداية الاحتلال بـ 10.000 نسمة يقطنون تونس العاصمة وحدها، وللإشارة أن هؤلاء من الأقاليم الحدودية لتونس فقط .[1]

وبعد سقوط قسنطينة سنة 1837م، عرفت الهجرة نحو تونس منحى تصاعديا فهاجرت نحوها قبائل بأكملها وكان جواب هؤلاء المهاجرين عندما يستنطقون من طرف ضباط المكاتب العربية، هو رفضهم البقاء تحت النظام الفرنسي المسيحي الذي استولى على بلادهم، [2]وفي المقابل من ذلك هو رغبتهم في العيش تحت المظلة العثمانية، لشعور كان يكنه هؤلاء المهاجرين للدولة العثمانية والدليل على ذلك أن الجزائريين الذين هاجروا إلى تونس كان لهم نشاطا سياسيا كبيرا بالدعوة إلى روح التضامن مع الدولة العثمانية في حروبها وأبلوا بلاء حسنا في ولائهم لها، مثل أسرة "أحمد توفيق المدني" وكذلك اسرة "عبد العزيز الثعالبي"، وغيرهما كثير من الذين ابلوا بلاء حسنا في ولائهم للدولة العثمانية .

[1]- شارل روبير أجيرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا 1871- 1919، ج2، ترجمة: م .حاج مسعود و .ع .بالعربي، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007، ص750- 752 .

[2]- المرجع نفسه ،ص 750 .

-الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام:

كانت بلاد الشام من أهم الإيالات العثمانية التي قصدها الجزائريون بعد الاحتلال الفرنسي، وللإشارة أن حركة الهجرة نحو بلاد الشام كانت سابقة لهجرة "الأمير عبد القادر"، وإن كانت هجرة هذا الأخير واستقراره عامل من عوامل تزايد الهجرة الجزائرية الى بلاد الشام، فقد بين التقرير -كما ذكرنا سابقا- والذي ارسله السفير الفرنسي بدمشق إلى سفير بلاده في استانبول بتاريخ ديسمبر 1835م، عن وجود أعداد هامة من المهاجرين الجزائريين الذين وصلوا إلى سوريا.

وبعد توقف مقاومة "الامير عبد القادر" سنة 1847م، رفض خلفاء الأمير والقواد الذين كانوا يحاربون الفرنسيين البقاء تحت سلطتهم فقام أحد هؤلاء، وهو "أحمد بن سالم" الذي استقر في ضواحي دمشق سنة 1847م، بتوجيه دعوة إلى كل سكان دلس وما جاورها ليلتحقوا به فنزل حوالي 80 شخص في بيروت، ولحق به في السنة الموالية عدد لا بأس به جاءوا من ذراع الميزان ودلس وسور الغزلان، ونزلوا في ميناء بيروت ، وفي هذا الصدد كتب قنصل فرنسا في بيروت فقال " ليست هذه المرة الأولى التي تحدث فيها هذه الأشياء فكثيرا ما ادعى الجزائريون الذهاب لتأدية مناسك الحج فإذا هم يتوقفون في بيروت رافضين الحماية الفرنسية ....مصممين بشكل لا رجعة فيه على الدخول في حوزة الدولة العثمانية .. "[1]

لقد كان تقرير القنصل الفرنسي يعبر أحسن تعبير عن ما كان يختلج في صدور المهاجرين الجزائريين، فكم من مرة عبروا عن رفضهم العيش تحت سلطة الفرنسيين مفضلين الدخول في حوزة الحكم العثماني كلها استنطقهم ضباط المكاتب العربية، وهذا ما جعل السلطات الفرنسية تعزوا كل موجة هجرة

[1]- عمار هلال : ابحاث ودراسات ....، المرجع السابق، ص84- 85 .

تشهدها الجزائر إلى الدعاية العثمانية، [1] التي عملت على إثارة الشعور الديني لدى الجزائريين بعد ما فشلت في استعادة الجزائر إلى الحضيرة العثمانية، فشجع هذا الاعتقاد السلطات الفرنسية فيما بعد الى عرقلة ركب الحج ثم وصل بها الأمر الى منعه مع نهاية القرن التاسع عشر.

كانت دعوة "أحمد بن سالم" سببا في تزايد موجات الهجرة نحو الشام، فعقب استقراره بدمشق سنة 1847م، نزل ما يقارب 560 شخص على سواحل بيروت ثم انتقلوا إلى دمشق اين استقبلوا بأذرع مفتوحة من طرف السلطات العثمانية، ووفرت لهم أحسن الظروف حيث منحت على سبيل المثال لـ "أحمد بن سالم" معاشا قدره 500 قرش فزادت بذلك الصلات بين السلطات العثمانية والمهاجرين الجزائريين، وقد يكون موسم الحج الذي يلتقي فيه الذين لم يهاجروا مع إخوانهم المهاجرين، سببا في تزايد موجات الهجرة، لما يسمعونه عن حسن الاستقبال والإكرام الذي حضي به المهاجرين الجزائريين في الأراضي العثمانية. [2]

وإن كانت هجرة الجزائريين نحو بلاد الشام قد بدأت منذ السنوات الأولى الاحتلال، فإن استقرار الأمير في دمشق سنة 1856م، قد سبب في تضاعف عدد المهاجرين الجزائريين نحو بلاد الشام أكثر من أي وقت مضى، والدليل على ذلك أن الأمير تدخل للقضاء على فتنة الشام سنة 1860م، بألف رجل من الجزائريين وتشير الإحصائيات الفرنسية أن في نفس الفترة قامت 79 عائلة جزائرية بالتسجيل

---

[1]- بالغت الادارة الفرنسية في تضخيمها لدور الدعاية العثمانية في حركة الهجرة في هذه الفترة، فالدعاية العثمانية لم تظهر جليا الا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909)، حتى وان وجدت فلا يمكن ان نفسر ظواهر داخلية بأسباب خارجية

[2]- جمعة بن زروال: موقف الدولة العثمانية وفرنسا من النشاط السياسي للجالية الجزائرية في بلاد الشام في اواخر القرن التاسع عشر، اعمال الملتقى الدولي ...،المرجع السابق، ص 83 .

في القنصلية الفرنسية بدمشق، هذا بالرغم من أن الإحصائية الفرنسية لا يمكن الاعتداد بها لأن الكثير من الجزائريين يرفضون التعامل مع سلطات جلادهم [1] لذلك قد يكون الرقم أعلى بكثير.

إن الحرية والحضوة التي وجدها الجزائريون من قبل السلطات العثمانية، جعلتهم يتصلون بأهاليهم عن طريق التجار وركب الحج وغيرها من قنوات الاتصال، معبرين لهم عن كرم الاستقبال العثماني [2] لذلك أصبحت الهجرة نحو الديار العثمانية تراود مختلف افراد المجتمع الجزائري وتزداد مع كل ثورة أو انتفاضة تنشب بالجزائر[3].

والجدير بالملاحظة أن الهجرة الجزائرية لم تقتصر على الطبقات الثرية أو تعلقت بالفئة البائسة، وإنما شملت كل الطبقات الاجتماعية [4] ونجد في ذلك حتى الاعيان والوجهاء الذين كان بإمكانهم مساندة المستعمر والعيش عيشة هنيئة، خاصة أن المستعمر عمل منذ وجوده بالجزائر على كسب امثالهم، وإن استثنينا القلة فإن كثيرا منهم آثر الهجرة، ومن هذا يظهر لنا أن المهاجر الجزائري الذي فضل الرحيل إلى الديار العثمانية، لم يهاجر فرارا من حياة البؤس والشقاء، إلى حياة القوة والرفاه على الرغم من الحضوة التي استقبل بها وإنما لشعور روحي وسياسي يدفعه نحو تلك الديار .

وشهدت سنة 1888م، موجة جديدة من الهجرة نحو سوريا من قسنطينة ومنطقة القبائل خاصة، حيث تم إحصاء هجرة حوالي 78 أسرة وما يقارب 347 شخص ناهيك عن المناطق الأخرى، وكانت كلما تظهر موجات من الهجرة تثير غضب السلطات الاستعمارية وعلى إثر ذلك عزت الإدارة

---

[1]– عمار هلال: الهجرة الجزائرية ....، المرجع السابق ص 23 – 24 .

[2]– ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930،ج2، دار الغرب الاسلامي، ط4، بيروت، 1992، ص 125 .

[3]– ابو القاسم سعد الله: ابحاث وآراء....، المرجع السابق، ص194 - 195.

[4]– عمار هلال: الهجرة الجزائرية....، المرجع السابق، ص 26- 27.

الاستعمارية هذه الموجة الجديدة من الهجرة إلى الدعاية العثمانية، متهمة في ذلك مبعوث من الإدارة العثمانية الذي زار الجزائر في تلك الفترة، وعمل على تحريض الجزائريين للهجرة نحو الاراضي العثمانية [1] وما يظهر لنا من تصرف السلطات الاستعمارية تجاه هذه الهجرات، أنها كانت تنسبها الى أسباب هي ليست طرفا فيها، وأن هجرة الجزائريين لم تكن بسبب الاستعمار أو الاضطهاد و تبالغ وفي كل مرة دور الدعاية العثمانية.

حقيقة أن الدعاية العثمانية لها أثر في تحريك الهجرة الجزائرية نحو الأراضي العثمانية، لكن المهاجر الجزائري ليس في حاجة الى الدعاية العثمانية حتى يهاجر، فقد بدأت الهجرة الجزائرية نحو الديار العثمانية منذ بداية الاحتلال سنة 1830م، كما أن حركة الهجرة مست في أغلبها الفئات التي هي على درجة عالية من الثقافة والوعي، إن ما يمكن أن نلاحظه من اسرار الإدارة الفرنسية على المبالغة من دور الدعاية العثمانية في الهجرة، هو زيادة على أنها لا تريد جعل الاستعمار سببا في الهجرة، أنها تريد أن تظهر على أن الجزائريين على انهم سذج ينساقون وراء كل مؤثر خارجي.

لقد كانت هجرة الجزائريين نحو بلاد الشام كإيالة عثمانية، لما ذاقوا من ويلات الاستعمار مصممين العيش تحت النظام العثماني الذي بقيت أخباره عالقة في الأذهان، من خلال الأدب الشعبي أو حتى من خلال الرسم والمنظمات فقد صرح بذلك" محمد راسم" في منمنماته، بتجسيده لكل شعور كان يربط الجزائريين بالدولة العثمانية، متحد بذلك إرادة المستعمر لقطع كل صلة للجزائريين بالخلافة العثمانية[2] .

[1]– شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 752 .

[2]– داود جفافلة ،عبيدة صبطي: ميثولوجيا التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر العثمانية في منمنمات محمد راسم، اعمال الملتقى الدولي الثاني....، المرجع السابق، ص 93 .

أما عن هجرة تلمسان سنة 1911م، فقد كانت من أكبر موجات الهجرة التي شهدتها الجزائر منذ سقوطها سنة 1830م، ففي تلمسان وحدها هاجر 800 شخص وقرروا الاستقرار في سوريا تحت الحكم العثماني، [1] ومن الطريقة الدرقاوية فقط هاجر 526 شخصا وقدر عدد المهاجرين بين سكان المقاطعة ومدينة تلمسان ما بين 3000 و 1200 نسمة، [2] ولعل من أهم أسباب هذه الهجرة هو التجنيد الإجباري، وقد لاقت هذه الهجرة كغيرها معارضة كبيرة خاصة من المستوطنين[3] .

أما عن المهاجرين الجزائريين الذين استقروا في بلاد الشام، فقد ربطوا صلة مباشرة مع السلطات العثمانية، ونزعوا كل صلة تربطهم بفرنسا واختاروا الحضيرة العثمانية وتغلغلوا اقتصاديا واجتماعيا بالامتيازات التي قدمتها لهم الدولة العثمانية، وشاركوا في الحياة الثقافية في بلاد الشام أمثال الشيخ "طاهر الجزائري" و " أحمد بن سالم " والشيخ "محمد بن مبارك" [4] كما ساهموا في مساعدة الدولة العثمانية على حفظ الامن ودخلوا مع الجنود العثمانيين في حراسة قوافل الحج التي تمر على بلاد الشام[5].

ولما نشبت حرب "القرم" سنة 1854م، لم يتأخر المهاجرون الجزائريون للمشاركة فيها، فقد تكونت فرق عسكرية لمساندة الدولة العثمانية في هذه الحرب، وكان الشيخ " الطيب بن سالم" من أبرز الشخصيات الجزائرية المهاجرة التي شاركت فيها [6] وبذلك شارك المهاجرون الجزائريون في الحياة السياسية والثقافية في بلاد الشام وربطوا صلات وثيقة مع السلطات العثمانية، كل ذلك يدل في اعتقادنا على أن

---

[1]- عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج4، ص 328 .

[2]- محمد غالم: المرجع السابق، ص 32 .

[3]- عارض المستوطنون حركة الهجرة خوفا عن تضرر مصالحهم الاقتصادية ،خاصة لما كانوا يجدونه من اليد العاملة الرخيصة في الجزائريين واذا استمرت موجات الهجرة سيؤدي بهم الى فقدان تلك الايدي الرخيصة .

[4]- جمعة بن زروال: المرجع السابق، ص 184 .

[5]- عمار هلال: الهجرة الجزائرية....،المرجع السابق، ص 20 .

[6]- ابو القاسم سعد الله : الحركة لوطنية ....، المرجع السابق، ج1، ص394 .

المهاجر الجزائري لم يفر من حياة البؤس، وإنما كانت هاجسا سياسيا ودينيا يدفعه نحو الهجرة وفي الوقت الذي أغدقت عليه السلطات العثمانية بالنعم، فقد اعتمدت عليه في حفظ النظام والسلم .

-الهجرة الجزائرية نحو استانبول:

مثلما شد الجزائريون الرحال إلى الإيالات العثمانية، فقد هاجروا أيضا إلى مركز الدولة العثمانية، ولعل من أوائل الجزائريين الذين آثروا الهجرة إلى استانبول بعد الاحتلال "حمدان بن عثمان خوجة"، الذي توجه إليها عام 1836م، بعدما قضى ثلاث سنوات في باريس التي نفاه الرسول إليها، [1] وقد يكون السفير العثماني "رشيد باشا" هو الذي دعاه لإستانبول نظرا للعلاقات الحسنة التي كان تكانت تربط بينهما وهناك خصص لحمدان خوجة معاشا قدره 100.000 قرش ونال حضوة كبيرة من طرف السلطات العثمانية، [2] وعلى الرغم أن "حمدان خوجة" كان من أثرياء البلاد ومن كبار التجار والأعيان وكان بإمكانه مساندة المستعمر الذي كان يسعى لاستقطاب أمثاله والعيش بذلك في هناء، إلا أنه كان دائم الاتصال بالسلطات العثمانية حاثا الباب العالي لانقاذ الجزائر، فسبب له ذلك النفي سنة 1833م، وفي منفاه لم يهدأ حاله حتى انتقل إلى عاصمة الخلافة إستانبول.

وفي القسطنطينية لم يرض "حمدان خوجة" بحياة هامشية بل استمر في نشاطه لصالح القضية الجزائرية، وعمل على ربط صلات بين الجزائر والدولة العثمانية، فكان يترجم الرسائل الواردة من الجزائر

---

[1]- حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص43 .

[2]- احميدة اعميراوي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827- 1840، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1983، ص 132، بحث غير منشور .

ويعمل على حث السلطات العثمانية للنظر في حال الجزائر كما عمل في عاصمة الخلافة محررا لجريدة " تقويم وقايع "[1]

وعرف مركز الخلافة هجرة العديد من العلماء الجزائريين إليها مثل "بن المكي بن عزوز" (1854-1919) الذي كسب ثقة السلطان هناك وعين مدرسا للحديث، ومن العلماء الذين آثروا الهجرة إلى إستانبول" محمد التهامي شطة"،[2] الذي عرف بولائه للخلافة العثمانية والدعوة للوحدة التضامن بين المسلمين تحت لوائها[3] .

وفي عاصمة الدولة العثمانية عمل المهاجرون الجزائريون في مناصب عليا، فكان منهم المهندسون والضباط والأطباء، وكان في غالبيتهم من العائلات الغنية، وقد ازداد عدد الجزائريين في استانبول وكانوا يلتقون قرب جامع "بايزيد" وجامع "سليمان القانوني" [4] ولعل ما يلفت الانتباه من الهجرة الجزائرية إلى استانبول أن غالبية المهاجرين كانوا من الطبقة المثقفة، وكان أكثرهم من الملاك والتجار الكبار، وهو ما يدل على أنهم لم يهاجروا إلى استانبول من أجل مال أم عمل، بل هناك شعور يربطهم بالخلافة العثمانية التي كانت في ذلك الوقت تمثل رمزا للإسلام ضد الكفار وتمثل أيضا نقيضا للنظام الذي استولى على بلادهم هذا وبالإضافة إلى العلاقات التي ربطتهم بالدولة العثمانية ردحا من الزمن والذي بقي اثرها عالقا في الأذهان، وهو ما عبر عليه الشعر الشعبي الذي ازدهر في تلك الفترة .

---

[1]- محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص117 .

[2]- ولد في مدينة الأغواط ،كاتب وأديب له اشتغال بالسياسة، رحل إلى تونس بعد أن احتل الفرنسيون الأغواط سنة 1852م، حيث استقر بها الى غاية سنة 1881م، ومنها رحل الى دمشق، كان من دعاة الجامعة الاسلامية، توفي باستانبول سنة 1915م .أنظر: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص188 .

[3]- عمار هلال: ابحاث ودراسات ...، المرجع السابق، ص404- 405 .

[4]- ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ....،المرجع السابق، ج2، ص 124 – 125 .

إن مركز الدولة العثمانية كانت من بين أهم المناطق العثمانية التي جلبت انتباه الجزائريين للهجرة إليها منذ بداية الاحتلال، وتولوا المناصب السامية وشاركوا في الحياة السياسية والثقافية والعسكرية، فربطوا بذلك صلات متينة مع السلطات العثمانية، وكان شعورهم تجاه دولة الخلافة كما عبر عليه أحد المهاجرين الجزائريين لإحدى الصحيف قائلا :" لقد غادرنا وطننا تاركين ورائنا أملاكنا وأهلنا .. وذلك ليس حبا لشيء وإنما حبا للحكومة الإسلامية في تركيا..." [1]

-الهجرة الجزائرية نحو مصر:

إذا كانت الشام وتونس وغيرهما من الإيالات العثمانية، قد عرفت هجرة جزائرية كبيرة فإن مصر لم تكن أقل حضا منهم و كان "الأمير عبد القادر" قد اختار الإسكندرية من بين مناطق منفاه .

كانت البداية مع الباي "مصطفى بو مرزاق" الذي هاجر إلى الإسكندرية بعد استسلامه للفرنسيين،[2] وبسبب السياسة العنصرية التي انتهجتها فرنسا منذ دخولها الجزائر، ازدادت حركة الهجرة نحو مصر فقد بلغ عدد المهاجرين إليها سنة 1870م، زهاء 1744 مهاجرا وهو ما تم تسجيله لدى القنصلية الفرنسية، [3] ولعل العدد أعلى بكثير خاصة إذا ما عملنا أن عددا كبيرا كان يرفض التسجيل لدى السلطات الفرنسية كي لا يتعامل مع السلطات التي فر منها.

ومن أبرز العائلات التي أصبحت ذات تأثير وحضوة في مصر نجد عائلة "السلاوي"، وعائلة ا"لحاج محمد التلمساني" وعائلة "العيادي" وغيرها. [4]

---

[1]- عمار هلال: الهجرة الجزائرية...، المرجع السابق، ص 207 .

[2]- ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الحديث ...،المرجع السابق، ص 65 .

[3]- عمار هلال: الهجرة الجزائرية ....، المرجع السابق، ص 166 -167 .

[4]- المرجع نفسه، ص 168 .

وفي الإسكندرية تضاعف عدد المهاجرين الجزائريين وهذا ما اتنبه إليه القنصل الفرنسي العام في الإسكندرية حينما أبرق إلى وزير خارجية بلاده قائلا : " يوجد حوالي 200 جزائري من أهالي تلمسان متوزعين عن فنادق البلد " [1] ووصل عدد المهاجرين من شمال إفريقيا إلى مصر مطلع القرن 20 م ما بين 20000 و 30000 كان الجزائريون يمثلون منهم الأغلبية،[2] ولعل للهجرة إلى مصر بالنسبة للجزائريين كانت أقل عناء وأكثر ضمانا عن طريق البر، مما سبب في تزايد هجراتهم الجماعية إليها دون علم السلطات الفرنسية.

- الهجرة الجزائرية نحو ليبيا:

كانت طرابلس الغرب محطا آخر للمهاجرين الجزائريين كإقليم عثماني، وأخذت طرابلس الغرب وضعا فريدا وخاصا بعد اعادتها للحكم العثماني المباشر سنة 1835م، حيث لمس فيه الجزائريون الحكم العثماني عن قرب وأسسوا بذلك علاقات حسنة مع العثمانيين هناك.

إن الهجرة الجزائرية إلى طرابلس الغرب بعد الاحتلال الفرنسي، حتى وإن لم تكن بأعداد هامة مثل بلاد الشام أو تونس، فإن الجزائريين هناك لم يعشوا على هامش الحياة السياسية، بل تصدوا المشهد السياسي واستطاع"محمد بن علي السنوسي" صاحب الطريقة السنوسية وأصيل مدينة مستغانم، أن يكسب ثقة السلطان العثماني "عبد المجيد" بعد أن استقر في طرابلس الغرب سنة 1839م، وازدادت الثقة بينه وبين السلطة العثمانية حتى أعطي فرمانا سنة 1855م، أصبح بموجبه الأمير المستقل في ليبيا.[3]

[1]- نادية طرشون: المرجع السابق، ص182 .

[2]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ....، المرجع السابق،ج2 ،ص 124 .

[3]- عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج4، ص 272 .

ومع تواجد الحركة السنوسية في طرابلس الغرب ازداد عدد المهاجرين الجزائريين إليها، خاصة إذا علمنا أنها أصبحت ملجأ للثائرين الجزائريين ضد الاستعمار الفرنسي، لأن السنويين كانوا من أشد المعارضين للاستعمار الأجنبي بصفة عامة والفرنسي في الجزائر بصفة خاصة، بل كان لهم ضلع في دعم بعض الثورات في الجزائر مثل ثورة "محمد بن عبد المالك الشريف" في تلمسان والصحراء سنة 1898-1861م. [1]

وفي اعتقادنا أن الشهرة التي كسبتها الحركة السنوسية باعتبارها حركة إصلاحية، زيادة على التقوى والورع الذي اشتهر بها مؤسسها زادت من هجرة الجزائريين إلى ليبيا حيث أصبحوا من أتباع الطريقة.

وما يمكن أن نقوله عن المهاجرين الجزائريين سواء في ليبيا أ وغيرها من الديار العثمانية، أنهم شاركوا في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ أن استقروا في تلك الديار معتبرين أنفسهم عثمانيين، وكما أن الدولة العثمانية جادت عليهم من نعمها فقد اعتمدت عليهم في تحقيق مآربها، ورغم أنهم برزوا في كل المجالات إلا أنهم عاشوا في شكل تجمعات أملا في أن يستقلوا يوما ويعودوا إلى بلادهم، وكانت لأسرة "الامير عبد القادر" الدور الكبير بعد هجرتها من الجزائر في استقبال هؤلاء المهاجرين والتدخل في بعض الاحيان حتى لدى السلطات العثمانية لقضاء مصالحهم مما جعل هذه الأسرة تدخل في علاقات مع تلك السلطات، والسؤال المطروح: ترى كيف كانت العلاقة بين هذه الأسرة والدولة العثمانية ؟ خصوصا اذا علما ان "الأمير عبد القادر" هو الذي اختار الاقاليم العثمانية كمستقر له بعد منفاه ؟

---

[1]- محمود ابراهيم: العلامة محمد بن علي السنوسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 155 .

-المبحث الثاني: أسرة الأمير عبد القادر والدولة العثمانية

بدأت علاقات "الأمير عبد القادر" بالدولة العثمانية منذ فترة مقاومته للاستعمار الفرنسي في الجزائر، وبعد استسلامه وحكم عليه بالنفي اختار استانبول من بين أماكن منفاه ،كما اختار الاسكندرية وعكا وكل هذه الاماكن التي اختارها هي ديار عثمانية،[1] لكن السلطات الفرنسية أخلفت وعدها واقتادته للسجن ولم يطلق سراحه إلا أواخر سنة 1852م، وبعد اطلاق سراحه توجه "الأمير" وأفراد أسرته إلى الدولة العثمانية واستقر في مدينة بورسة حتى سنة 1855م، ومنها نزل بدمشق وهي إحدى الولايات العثمانية التي قرر الاستقرار بها.

ونظراً للسمعة الطيبة التي أصبحت تتمتع بها الأسرة الأمير فإنها دخلت في علاقات مع السلطات العثمانية منذ نزولها باستانبول، وازدادت هذه العلاقة متانة بعد استقرار الأسرة في دمشق، لكن بعد وفاة الأمير عبد القادر سنة 1883م، دخلت فرنسا تنافس الدولة العثمانية لكسب ودّ هذه الأسرة، وعلى هذا أردنا أن نقسم علاقة هذه الأسرة بالباب العالي إلى مرحلة ما قبل وفاة "الأمير عبد القادر"، ومرحلة ما بعد و"فاة الأمير عبد القادر".

1- مرحلة ما قبل وفاة الأمير عبد القادر:

تميزت هذه الفترة بدخول جميع أفراد الأسرة تحت تصرف الأمير، وبدأت منذ نزول "الأمير" وأفراد اسرته في استانبول حيث خصص لهم ترحيب خاص من طرف رجالات الدولة العثمانية

[1]- علاء الدين يحياوي: المرجع السابق،ص163.

وفي هذا الصدد يقول "الأمير محمد" [1] الابن الأكبر لـ "لأمير عبد القادر"، الذي كان حاضراً أنداك واصفاً الاستقبال الذي حضي به أبوه من طرف السلطان "عبد المجيد"، "...فتشرفت بمشاهدة حضرة السلطان الغازي عبد المجيد خان فرحب به وأحسن السؤال عن أحواله...وكنت يومئذٍ في معية الوالد فرأيت من تنازل حضرة السلطان وتعطفه ولين جانبه.."[2]، ولعل مما تقدم من كلام "الأمير محمد" يتأكد لنا التبجيل والاحترام الذي حضى به "الأمير" منذ ولوجه لاستانبول، وأثناء نزوله في بورسة استقبل استقبالا خاصاً من طرف صهر والي بورسة" خليل باشا" مع جمع غفير من كبراء البلد[3]، ورغم هذا نجد أن "هنري تشرشل " يعتبر أن السلطات العثمانية لم تحسن استقبال الأمير، بل يذهب ابعد من ذلك حينما يصف أن السلطات العثمانية بخلت عن الأمير ولم تمنحه حتى بيتا محترماً، ويصف ذلك البيت بأن معظم أجزائه بلا سقوف[4] إلا أن وثيقة عثمانية مؤرخة عام 1853م،تفند رأيه و تبين أن الباب العالي خصصه للأمير وأفراد اسرته بيتاً في بورسة وتكفل بتغطية قيمة ايجاره ونفقاته وتأثيثه[5].

أما "الأمير" فإنه منذ استقراره بالقسطنطينية عبر عن واخلاصه الكبير للدولة العثمانية، ولعل أبرز شاهد على ذلك دعمه للدولة العثمانية في حرب القرم(1854-1856)، فقد تعمد حضور مراسم تجنيد

[1]- ولد سنة 1838م، في "القيطنة " ضواحي معسكر هو الابن الأكبر للأمير عبد القادر، شارك مع والده في جهاده ضد الفرنسيين، وهاجر معه الى المشرق وأقام معه في كل من بورسة و دمشق، عرف بولائه للدولة العثمانية ،وبعد وفاة والده عين عميدا للاسرة في بلاد الشام، توفي عام 1885 . أنظر: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج1،ص 224-225 .

[2]- محمد بن الأمير عبد القادر : تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ص51.

[3]- الأميرة بديعة: اصحاب الميمنة إن شاء الله، دار السلام، دمشق، 1997، ص 171.

[4]- شارل هنري تشرشل: المصدر السابق، ص275.

[5]- الجزائر في الوثائق العثمانية: المصدر السابق، وثيقة رقم 83، مؤرخة في ربيع الثاني 1269هـ/ فيفري 1853م، ص370.

المهاجرين الجزائريين للمشاركة في هذه الحرب إلى جانب الدولة العثمانية[1]، ولعل حضور "الأمير" أثناء عملية التجنيد كان من الأسباب التي دعت إلى تزايد عدد المهاجرين الجزائريين الذين شاركوا في هذه الحرب بأعداد هائلة إلى جانب الدولة العثمانية، نظراً لما يتمتع به الأمير من مكانة وسمعة بين الجزائريين منذ فترة جهاده للاستعمار الفرنسي.

وأثناء هذه الفترة كان "الأمير" يتابع أخبار الحرب و يبتهج بانتصارات العثمانيين، وعلى إثر ذلك قام بتنظيم قصيدة طويلة يمدح فيها السلطان العثماني "عبد المجيد" ويدعو له فيها بالنصر على أعدائه، كان مطلعها:

يا ربِّ يا ربَّ الأنام ومن إليه مفزعنا، سراً واعلانـــــــا

يا ذا الجلال و ذا الاكرام مالكنا يا حي يا مُولياً فضلا واحسانـــا

يا رب أيد بروح القدس ملجأنا عبد المجيد ولا تبقه حيرانـــــا[2].

وبعد إقامة دامت ثلاث سنوات في بورسة ربط فيها "الأمير" علاقات طيبة مع السلطات العثمانية، قرر الرحيل إلى دمشق بسبب كثرة الزلازل، فوصلها حسب "تشرشل" في أواخر نوفمبر 1856م،[3] ومنذ وصوله استقبل استقبالا رسميا من طرف والي دمشق "نديم باشا"[4] وسمح له "السلطان عبد المجيد" (1839-1861)

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ج1، ص 395.
[2]- محمد بن الأمير عبد القادر: المصدر السابق، ص54.
[3]- شارل هنري تشرشل: المصدر السابق، ص276.
[4]- محمد بن الأمير عبد القادر: المصدر السابق، ص66.

بشراء أراضي وتوزيعها على المهاجرين الجزائريين،[1] كما قام السلطان بتعويضه في قيمة داره التي هاجر منها في بورسة.[2]

ومنذ استقرار "الأمير" بدمشق لم يرض بحياة هامشية بل قام بإقحام نفسه وأفراد عائلته في كل المجالات السياسية والاجتماعية والأمنية، فقد قام بتأسيس فرقة عسكرية عرفت بفرقة المغاربة التي دخلت في خدمة الدولة العثمانية، ولعل أهم ما قامت به هذه الفرقة هي و أدها لفتنة 1860م،[3] بقيادة "الأمير عبد القادر"[4].

واعترافا من السلطات العثمانية بالدور الذي لعبه "الأمير" في وأد هذه الفتنة، قامت بإعطائه النيشان المجيدي العالي من الرتبة الأولى، لأنه ساهم بهذا العمل في حفظ أمن الدولة و الدفاع عن حوزتها،[5] وأثبت بذلك شدة اخلاصه للدولة العثمانية بمساعدتها في حفظ الأمن، وتم إبعاد أطماع الدول الأوروبية التي كانت تتحين الفرصة لمد نفوذها داخل الإمبراطورية تمهيداً لاقتسامها، كما نال الأمير بذلك التبجيل والاحترام من طرف المسحيين والمسلمين على حد سواء فزادت مكانته لدى رجال الدولة العثمانية.

ولما كان" الأمير" يتمتع بمكانة كبيرة لدى السلطات العثمانية، فإنه كان كثير التدخل لديها لحماية المهاجرين الجزائريين والحفاظ على حقوقهم، وعلى الرغم من أن المصادر الفرنسية تعتبر أن تدخلات "الأمير"

---

[1]- جميلة معاشي: المهاجرون الجزائريون في بلاد الشام بين فكرة الجامعة الإسلامية والقومية العربية، مجلة الحوار الفكري، العدد01، جويلية 2001، تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، قسنطينة، ص 82 .

[2]- محمد بن الأمير عبد القادر: المصدر السابق، ص82

[3]- وهي فتنة قامت بين الدروز والموارنة في لبنان ثم امتدت الى دمشق، لعب فيها الأمير دورا كبيرا بحماية الآلاف من المسيحيين الموارنة من القتل بعد أن تمكن من القضاء على الفتنة، و هو عمل ما زال يذكر له الى اليوم. أنظر: محمد بن الأمير عبد القادر: المصدر السابق، ص91- 94.

[4]- الأميرة بديعة: اصحاب الميمنة....المرجع السابق، ص 222.

[5]- الجزائر في الوثائق العثمانية: المصدر السابق، وثيقة رقم 85، مؤرخة في صفر 1277هـ/أوت 1860 م، ص377.

لصالح المهاجرين الجزائريين لدى السلطات العثمانية تقلقهم كثيرا، إلا أننا ما نلاحظه هو أن السلطات العثمانية هي التي تتقرب إلى الأسرة خاصة بعد قضاء "الأمير" على فتنة 1860م، نظراً لما اصبح يتمتع به هذا الأخير و افراد اسرته من تقدير واحترام، فقد قامت باختياره من بين علماء دمشق لإلقاء الكلمة التأبينية اثناء وفاة "السلطان عبد المجيد" سنة 1861م، وكان ذلك بحضور ممثلي الباب العالي، [1] كما كانت السلطات العثمانية تهتم بدقة حياة الأسرة الأميرية، وأبلغ شاهد على ذلك أنها قامت بتكريم "محمد نور الدين الحسني بن أخ الأمير عبد القادر" وأغدقت عليه برتبة عثمانية وذلك بعد تأليفه كتابا في المنطق[2].

وفي اعتقادنا أن الاحترام والتبجيل الكبيرين التي أولتها السلطات العثمانية للأسرة الأميرية خاصة بعد 1860م، يعود للتأثير الذي اصبحت تتمتع به هذه الأسرة بين مختلف الطوائف في بلاد الشام، اضافة إلى رغبة رجال الدولة العثمانية في قطع الطريق أمام السياسة الفرنسية التي بدأت تمتد للمهاجرين الجزائريين أملاً منها في كسب ولائهم، ونظراً لالتقاء المصالح بين الأسرة الأميرية والدولة العثمانية، فإن أواصر التواصل قد ازدادت أكثر ويظهر هذا خاصة أثناء ثورة 1871م، والمعروفة بثورة "المقراني" التي شارك فيها "الأمير محي الدين"، [3] ولقي دعماً وتشجيعاً ملموساً من كبار المسؤولين العثمانيين حينما عرض عليهم مسألة الانتفاض بالجزائر، كما قدم أعضاء الجمعية الخيرية [4] طلب إلى السلطان جاء فيه: "نطلب من فضلكم ومن مراحم

[1]– محمد بن الأمير عبد القادر: المصدر السابق، ص119.

[2]– الجزائر في الوثائق العثمانية: المصدر السابق، وثيقة رقم 88، مؤرخة في شوال 1293هـ/1876م، ص 386.

[3]– هو الإبن الثاني للأمير عبد القادر ولد حوالي 1841م، في منطقة سرسو (الجزائر) عاش في الجزائر وفي المهجر أين تلقى معظم علومه على يد الشيخ "محمد مبارك"، ولما كان الأمير من أشد الناقمين على فرنسا فإنه استطاع أن يدخل الجزائر ويشارك في انتفاضة 1871، ولكن انهزامه أمام الفرنسيين في مارس 1872، جعله ينسحب ويرجع إلى دمشق، أنظر:

–عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج1، ص277–230.

[4]– يذكر عبد الجليل التميمي أنه لا يوجد أحد من المؤرخين تكلم عن هذه الجمعية وبالتالي فالغموض يكتنفها، لكن الأميرة بديعة ذكرت أن طاهر الجزائري كان رئيسها وبالتالي فمن الأرجح أن مقرها هو بلاد الشام، ولعل المهاجرين الجزائريين هم من قاموا بتأسيسها.

حضرة مولانا السلطان المعظم النظر لحال المهاجرين الجزائريين...ونطلب توسيط الدول الأجنبية لإعادة حق الدولة العثمانية الثابت في إقليمنا... وإن أبت الدولة الفرنسية إعادة الحق يصبح اعلان الحرب عليها أمراً واقعاً"، [1] وبهذا الطلب لم تتأخر السلطات العثمانية في دعم " الأمير محي الدين" والثوار المقرانيين فقد لوحظ ضباط الأتراك في الجنوب التونسي ووصل عتاد حربي إلى الحدود الجزائرية التونسية ولكن لم يكتب لتلك الذخائر أن تصل إلى الثوار[2].

استغلت الدولة العثمانية انهزام فرنسا في حربها ضد ألمانيا سنة 1870م، لتجديد اهتمامها بالجزائر، وكان الصدر الأعظم "عالي باشا" من المتحمسين لإثارة الجزائر ضد فرنسا، وقد تزامن هذا مع الطموح الذي كان يراود "الأمير محي الدين"، لذلك لقي الأخير دعماً وتشجيعاً كبيراً من السلطات العثمانية خاصة أنه كان يحتل مركزا مرموقا لديهم، ومن الشواهد التي تدل على دعم العثمانيين "للأمير محي الدين" هو ما ذكره الثائر "ناصر بن شهرة" أثناء هذه الانتفاضة في احدى رسائله التي بعثها إلى الوجهاء و القضاة بالجزائر : "... إن سيدنا محي الدين بن الحاج عبد القادر قد وصل إلينا بإذن من السلطان.... وبمشيئته سيتوجه من هنا إلى الجزائر ليلتحق بأبيه الذي يحتاجه ...إن جنود السلطان الغزاة قد وصلوا إلى طرابلس الغرب..."،[3]

إن ما جاء في رسالة الثائر "ناصر بن شهرة" السابقة الذكر، لتبين في منظورنا الشعور الذي اصبح يكنه الجزائريون تجاه العثمانيين، حيث أصبح الجندي التركي في وجدانهم مثالاً للنصر والقوة بعد ما كان اسمه مرادفا للظلم قبل الاحتلال كما "يقول آجرون شارل روبير"، كما يتبن من هذه الرسالة، ومن الطلب الذي وجهه "محي الدين" إلى كبار المسؤولين العثمانيين بشأن الانتفاضة في الجزائر، ومشاهدة ضباط أتراك وذخائر حربية

---

[1]– الأميرة بديعة: أصحاب الميمنة ...، المرجع السابق، ص272.

[2]– يحي بوعزيز: وثائق جديدة عن موقف الأمير عبد القادر والدولة العثمانية من الثوار المقرانيين عام 1871، مجلة الثقافة، العدد 39، مارس 1977، تصدر عن وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر، ص 17.

[3]– عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق...، المرجع السابق، ص144.

على الحدود التونسية التي كان ينشط بالقرب منها "الأمير محي الدين"، التنسيق الذي كان بين الدولة العثمانية و"الأمير محي الدين" في ثورة 1871م، وعليه يمكننا القول أن التقاء المصالح بين الأسرة الأميرية والدولة العثمانية قد زادت من أواصر التواصل و ضاعفت اللحمة بين الطرفين.

أما "الأمير عبد القادر" فإن ولاءه للدولة العثمانية لم يعد أمراً جديداً، بحرصه على تماسك الامبراطورية العثمانية و نبذ التفرقة والتحذير من الدسائس التي من شأنها أن تؤدي إلى الفتنة والشقاق، وهذا ما كان يجسده في حلقات الدرس التي كان يلقيها بالجامع الأموي بل وفي كل مجالسه،[1] ولعل أبلغ دليل على الاخلاص الذي كان يكنه "الأمير عبد القادر" للخلافة العثمانية هو أنه لما اختير سنة 1878م، من قبل الشاميين أن يكون ملكاً على دولتهم العربية التي أرادوا أن يقيموها، كان أول شرط له هو أن تكون هذه الدولة في إطار الخلافة العثمانية وأن يكون الخليفة العثماني هو خليفة المسلمين[2].

إن ما يمكن أن نقوله أن الدولة العثمانية اهتمت اهتماما خاصا بالأسرة الأميرية منذ ولوجها استانبول سنة 1853م، وفي المقابل عبر "الأمير" الذي كان يسر أمور أسرته عن احترامه الكبير للخلافة واستمر في ذلك حتى أواخر حياته، ولكن إذا كانت الأسرة الأميرية قد أظهرت احترامها وولائها للدولة العثمانية في الوقت الذي كان "الأمير عبد القادر" يتولى أمورها، فما هو حالها مع الدولة العثمانية بعد وفاة هذا الأخير سنة 1883م ؟.

---

[1]- الأميرة بديعة: أصحاب الميمنة....، المرجع السابق، ص212.

[2]- علاء الدين يحياوي: المرجع السابق، ص165.

.

2- مرحلة ما بعد وفاة الأمير عبد القادر:

كان "الأمير عبد القاد"ر هو المتصرف بأمور الأسرة والمسير لشؤونها، وبعد وفاته تم انتخاب ابنه الأكبر "محمد" مكانه، وقد يتساءل البعض من تكون هذه الأسرة حتى تنتخب عميداً عليها ليتصرف في شؤونها ؟ نجيب، أن السمعة التي اكتسبتها الأسرة والتأثير الذي اصبحت تتمتع به بين مختلف الطوائف منذ قضاء "الأمير" على فتنة 1860م، بالإضافة إلى تعهدها على حماية مصالح المهاجرين الجزائريين في بلاد الشام، حتم عليها ذلك، وعلى هذا إحتدم الصراع بين فرنسا والدولة العثمانية من أجل كسب ولاء الأسرة بعد وفاة "الأمير عبد القادر"، فقام الباب العالي لأجل ذلك بتخصيص رواتب لأفراد الأسرة، [1] في حين قامت القنصلية الفرنسية بدمشق بتكثيف اتصالاتها بعميد الأسرة الأميرية "محمد باشا" أملاً منها لكسب تأييده وقامت بإصدار أمر سنة 1885م، يقضي بتسجيل المهاجرين الجزائريين ببلاد الشام في السجلات الفرنسية باعتبارهم رعايا فرنسيين إلا أن عميد الأسرة خرج ضد القرار الفرنسي وأمر المهاجرين الجزائريين بتسجيل أنفسهم في السجلات العثمانية [2].

وأمام المناورات الفرنسية التي أصبحت تقوم بها لكسب تأييد المهاجرين الجزائريين أسرة الأمير بالخصوص، قام السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني"[3] بإصدار تعليمات لوالي دمشق "حمدي باشا" سنة 1887م، في

---

[1]- الجزائر في الوثائق العثمانية، المصدر السابق، وثيقة رقم 89، مؤرخة في جمادة الأولى 1301هـ/مارس 1884م، ص388

[2]- جميلة معاشي: المرجع السابق، ص84.

[3]- هو ابن السلطان عبد المجيد حكم مابين (1876-1909)، في فترة بلغ فيها ضعف الدولة العثمانية أوجه، اشتهر بفكرة الجامعة الإسلامية وأراد ارجاع الهيبة للدولة بجمع كافة المسلمين حولها، وقعت في عهده الحرب العثمانية الروسية سنة 1897م، التي خرجت منها الدولة العثمانية بفقدان أجزاء واسعة من أراضيها لصالح الروس كما عرف السلطان عبد المجيد بوقوفه ضد الأطماع الصهيونية في فلسطين وفي سنة 1909م، خلع السلطان من الحكم بعد مؤامرة اشترك فيها اليهود والإتحاديون، أنظر: -السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية 1891- 1908 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص11-15.

شأن الأسرة الأميرية ومما جاء فيها:"...عليكم أن تعملوا بسرعة وتبذلوا كل ما في وسعكم لفصل عائلة الأمير عن فرنسا نهائياً، عدوها بالرتب العسكرية السياسية والعطاء الجزيل ..إذ بواسطة عائلة الأمير نتمكن من دون شك من جلب الجزائريين في سوريا إلى صفوفنا، وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي نستطيع بواسطتها تجريد فرنسا من ادعاءاتها التي تتذرع بها للتدخل في المنطقة"،[1] ولعل من هذا يظهر لنا مدى شدة احتدام الصراع بين العثمانيين والفرنسيين في كسب ولاء أسرة الأمير، وكذلك المطامع الفرنسية المبكرة في بلاد الشام، وهي التي فشلت في خلق نفوذ لها أثناء فتنة 1860م، بعد تدخل "الأمير عبد القادر" الذي كان لصالح الدولة العثمانية قبل أن يكون تدخلاً لإبعاد الفتن وحفظاً للأمن، وبعد وفاة هذا الأخير أرادت فرنسا أن تسارع لاستمالة الأسرة أو على الأقل بعض أفرادها حتى تخلق بذلك نفوذاً لها في بلاد الشام.

ولزيادة تمتين الروابط بين الدولة العثمانية وأسرة "الأمير عبد القادر" قام الباب العالي بتخصيص راتب للأمير "محي الدين بن الأمير عبد القادر" ولأفراد عائلته بعد تخليه عن الجنسية الفرنسية وتم منح بعض المهاجرين الجزائريين أراضي زراعية في حوران للعمل والإقامة فيها وإعفاؤهم من الخدمة العسكرية، وكان ذلك سنة 1888م[2]، كما تم إكرام "شفيقة خانم" "زوجة الأمير عبد القادر" بأرض زراعية في نفس السنة،[3] لكن الباب العالي لم يرض بإغداق النعم على افراد الأسرة لضمان ولائهم، بل قام بإصدار أمر يقضي بإدخال 29 طفلا جزائريا ليتم تكوينهم في المدرسة الملكية باستانبول وبدون أجور حتى تتمكن الدولة العثمانية من تخريج جيل موالٍ لها، ويدافع عن المصالح العثمانية وقد كان أفراد من الأسرة الأميرية في طليعة هؤلاء [4].

---

[1]- عمار هلال: أبحاث و دراسات...، المرجع السابق، ص 93-94.

[2]- الجزائر في الوثائق العثمانية، المصدر السابق، وثيقة رقم 90، مؤرخة في ذو القعدة 1305هـ/ جويلية 1888م، ص391.

[3]- علاء الدين يحياوي : المرجع السابق، ص168.

[4]- جميلة معاشي: المرجع السابق، ص83 .

وبهذه السياسة استطاعت الدولة العثمانية أن تزيد في أواصر التواصل بينها وبين المهاجرين الجزائريين وفي مقدمتهم أسرة "الأمير عبد القادر"، ولا غرابة في ذلك مادام أن المصلحة مشتركة بين الطرفين، فالدولة العثمانية ورغم الضعف الذي اعتراها واصبح ظاهراً، إلا أنها لم تتخل عن الجزائر وهذا ما نلمسه في دعمها "للامير محيي الدين" أثناء ثورة 1871م، وإذا كان من أهداف العثمانيين هو إرجاع الجزائر إلى الحضيرة العثمانية، فإن أفراد الأسرة الأميرية في بلاد الشام كان يختلج في صدورهم ما كان يدور في صدور كامل الجزائريين وهو تحرير بلادهم من الاستعمار الفرنسي.

أما فرنسا فإنها لم تتوقف عن هدفها وهو استمالة أسرة "الأمير عبد القادر"، وهذا ما عبر عنه مفوض فرنسا في القاهرة "دوفرانس" حيث صرح عن رغبة بلاده في كسب ود أطراف مؤثرة من عائلة "الأمير عبد القادر" فتم الاتفاق على إثر ذلك إرسال رسالة إلى "الأمير عمر"،[1] حتى يكسبوه لصالحهم ويكون في خدمتهم، وفي إطار ذلك تم استدعاؤه إلى باريس سنة 1911م، وقلد الوسام الفرنسي وأقامت له السلطات الفرنسية حفلاً خاصاً وتم التشهير بذلك في سائل الإعلام وعزت الصحف الفرنسية سبب مجيء "الأمير عمر" إلى باريس هو لشرح الوضع الصعب الذي يعيشه المهاجرون الجزائريون في بلاد الشام، و اجتهد الفرنسيون بذلك لإظهار أن عائلة "الأمير" لم تكن ضد فرنسا، وأن المهاجرين الجزائريين غير راضيين عن السلطات العثمانية التي تسيء معاملتهم، [2] ولعل هدف فرنسا من ذلك هو لخلق ذريعة لتتدخل بها في شؤون المهاجرين الجزائريين في بلاد الشام وبذلك قد تستطيع استمالتهم لصالحها على حساب الدولة العثمانية.

---

[1]- ولد الأمير عمر بن الأمير عبد القادر في دمشق وبها ترعرع، ولما اشتد عوده اكمل دراسته بالجامعة الملكية في استانبول، عرف بكره الشديد لسياسة الاتحاديين، ورغم أنه لم ينتسب لأي حرب وجمعية إلا أنه كان يجاهر بآرائه للتمسك باللغة العربية والإسلام، مما سبب له ذلك في توتر علاقته مع والي دمشق جمال باشا، عضور حرب الإتحاد والترقي وكنتيجة لذلك قدم الأمير عمر إلى محكمة صورية وحكم عليه بالإعدام الذي نفذ في ماي 1916م، أنظر: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج1، ص223- 224.

[2]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ...، المرجع السابق،ج2، ص127.

ورغم المساعي الفرنسية في كسب ود "الأمير عمر" بكل الوسائل إلا أنها لم تستطع استمالته إلى صفوفها واستخدامه لقضاء مصالحها في المنطقة كما تريد، فعلى الرغم من أن "الأمير عمر" انتفض ضد الأتراك أثناء الثورة العربية، إلا أن عمله ذلك لم يكن حبا في فرنسا أو ولاء لها كما أنه لم يكن كرهاً للخلافة العثمانية، وإنما معاداة لسياسة الاتحادين [1].

إن الدولة العثمانية استطاعت بسياستها أن تحافظ على ولاء أغلب أفراد الأسرة الأميرية بعد وفاة "الأمير عبد القادر"، وتقطع الطريق أمام المناورات الفرنسية التي كانت تسعى للاتصال بالمهاجرين الجزائريين لحملهم على ترك التبعية العثمانية و الدخول في التبعية الفرنسية، ولكن دون جدوى، حتى قيل أن أفراد الاسرة الأمير اصبحوا كلهم عثمانيين باستثناء "أحمد" و"عمر" "وخالد"، ولكن هذا الأخير لم يدم طويلا على ذلك،[2] فقد أصبح من أبرز المدافعين عن الخلافة العثمانية وأبلغ شاهد على ذلك أنه رفض حضور مؤتمر باريس الذي عقده العرب سنة 1913م، تضامنا مع الدولة العثمانية، وبعد سقوط الخلافة العثمانية تحسر لذلك وأطلق اقتراح بإنشاء بديل عنها في اجتماع حضره بالإسكندرية.

[1]- نسبة إلى جمعية الاتحاد والترقي أحد شقي تركيا الفتاة المعارضة لحكم السلطان عبد الحميد الثاني، اتخذ هذا الاتحاد من سالونيك مركزا لنشاطه المعادي للسلطان عبد الحميد الذي أجبر سنة 1908م، على إعادة دستور ثم الانقلاب عليه وتنحيته سنة 1909م، من أشهر قادة هذا الاتحاد "طلعت باشا"، "جويد بيه"، وجمال باشا"، أنظر- محفوظ تاونزة: تضامن الجزائريين مع دولة الخلافة العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى، الملتقى الدولي الثاني...، المرجع السابق، ص 137.

[2]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ...، المرجع السابق، ج2، ص127.

وبعد تمكن الدولة العثمانية من الحفاظ على ولاء أغلب أفراد أسرة "الأمير عبد القادر" استطاعت أن تستفيد منهم، فلعب هؤلاء أدوار كبيرة في خدمتها مثل" الأمير علي"[1] الذي تولى عدة مناصب وارتقى إلى نائب رئيس المجلس الوطني العثماني،[2] وكذلك "الأمير محمد" الذي عمل جاهداً على ابقاء الأسرة تدين بولائها للدولة العثمانية بعد وفاة أبيه، ووقف في وجه الأطماع الفرنسية لاستمالة الأسرة برفضه للقرار الفرنسي القاضي بتسجيل المهاجرين الجزائريين في السجلات الفرنسية، [3] ونفس الحال مع "الأمير عبد المالك"[4] فتشبعه بالروح العثمانية مكنه من الوصول إلى رتبة عقيد في الجيش العثماني و سيكون له دور كبير في معاضدة الدولة العثمانية اثناء الحرب العالمية الأولى، و بذلك زادت عرى التواصل بين أبناء "الأمير عبد القادر" والدولة العثمانية.

وبالتالي فإن الصراع الذي قام على أشده بعد وفاة "الأمير عبد القادر" لكسب ولاء عائلته بين الدولة العثمانية وفرنسا قد انتهى بتمكن الدولة العثمانية من استمالة أغلب أفراد الأسرة، في حين أن فرنسا رغم استمالتها للأمير "عمر" إلا أنها لم تستطع الاستفادة منه بالقدر الكافي وبالشكل الذي تريده.

---

[1]- ولد بدمشق عام 1858م، وبها تعلم، درس في الجامعة الملكية باستانبول فتسلح بروح الجامعة الإسلامية ، عرف بولائه للسلطات العثمانية فعين ممثلا لحزب الاتحاد والترقي بدمشق في بداية سلطته وشارك إلى جانب العثمانيين في حربهم مع إيطاليا سنة 1911م، وفي سنة 1913م، قلد منصب نائب مجلس الأمة العثماني ثم انتخب نائبا لمقاطعة دمشق في نفس السنة وأثناء اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، لعب دورا كبيرا في اطلاق سراح أسرى المهاجرين الجزائريين الذين جندتهم فرنسا في جيشها وبعد صراع مع المرض توفي سنة 1917م، باستانبول . أنظر: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج1، ص217- 222.

[2]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص245.

[3]- الأميرة بديعة : اصحاب الميمنة...، المرجع السابق، ص258.

[4]- ولد بدمشق سنة 1868م، وبها تعلم ،كان يحسن اللغة التركية والفرنسية عين سنة 1906م، قائد للشرطة الدولية بطنجة وأثناء اندلاع الحرب العالمية الأولى قاد الحرب ضد الفرنسيين في المغرب الأقصى، وحقق فيها انتصارات باهرة وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى دخل في حرب مع القائد المغربي عبد الكريم الخطابي فقتل في أوت 1924م، أنظر:
-أبو القاسم سعد الله: وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، المجلة التاريخية المغربية عدد01، جانفي 1974م، تونس، ص 54- 55.

إجمالاً، يمكننا اعتبار أن أسرة "الأمير عبد القادر" منذ أن وصلت بورسة سنة 1853م، ربطت علاقات حسنة مع السلطات العثمانية ولقيت التبجيل والاحترام من طرف الرجال الرسميين للباب العالي، ولما استقرت بالشام سنة 1855م، تضاعفت أواصر التواصل بمنحها الأراضي واعطائها النياشين والأوسمة، وفي المقابل من ذلك اثبت "الأمير عبد القادر" ولاءه للباب العالي بمساهمته في حفظ أمن الدولة، ولعل ابلغ شاهد على ذلك هو إخماده فتنة 1860م في بلاد الشام ، وبعد وفاته سنة 1883م، استمر أغلب أفراد أسرته في تمسكهم بالدولة العثمانية، رغم المحاولات المتكررة للسلطات الفرنسية في استمالتهم .

أخيراً وفي نهاية هذا الفصل، يمكننا أن نقول بأن الجزائريين و بسبب ما تعرضوا له من اعتداء على المقدسات و الأملاك و الأرواح، جعلهم يفضلون الهجرة نحو الديار العثمانية رافضين البقاء تحت حكم الفرنسيين ومفضلين الدخول تحت لواء الحكم العثماني.

كما أن هجرة الجزائريين إلى الأراضي العثمانية قد ساهمت في استمرار تواصلهم بهذه والدولة لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الأحداث السياسية والاجتماعية التي عرفتها المنطقة، خاصة أسرة "الأمير عبد القادر"، ولكن إذا كان المهاجرون الجزائريين قد عززوا في استمرار التواصل بالدولة العثمانية واثبتوا إخلاصهم لها، فما هو حالهم مع فكرة الجامعة الإسلامية التي تبنتها الدولة العثمانية؟ و ما هو صدى هذه الحركة في الجزائر ذاتها؟ خاصة أنها كانت تهدف إلى تحرير البلاد الإسلامية من السيطرة الأجنبية ؟ واذا كان الجزائريون من أنصار الجامعة الإسلامية فما هو موقفهم من الحرب التركية الإيطالية سنة 1911م، وما موقفهم من المشكلة البلقانية مثلاً ؟ وهل انحاز الجزائريون إلى القوميين العرب أم استمروا في ولائهم للدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى ؟

الفصل الثالث: مظاهر استمرار ولاء الجزائريين للدولة العثمانية

المبحث الأول: الجزائريون وفكرة الجامعة الإسلامية

المبحث الثاني: موقف الجزائريين من الدولة العثمانية في حروبها قبيل الحرب العالمية الأولى

المبحث الثالث: الجزائريون والدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى

عرفت نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين هجمة شرسة من طرف الدول الأوروبية على العالم الإسلامي، وما إن انتهت الحرب العالمية الأولى، حتى كان أغلب أجزائه تحت السيطرة الأجنبية، ولم يكن ذلك إلا بعد ضعف الدولة العثمانية التي وقفت في وجه الأطماع الأوروبية منذ القرن السادس عشر، ولهذا قرر الأوروبيون إضعافها حتى يتمكنوا من العالم الإسلامي، وفي ظل هذا الوضع ظهرت أصوات تنادي بالوحدة والتضامن بين المسلمين للوقوف أمام السيطرة الأجنبية والتي كان يعاني منها الجزائريون منذ 1830م.

-المبحث الأول: الجزائريون وفكرة الجامعة الإسلامية.

تقوم فكرة الجامعة الإسلامية على الوحدة و التضامن بين المسلمين والوقوف في وجه الأطماع الأجنبية في البلاد الإسلامية، ومحاربة الاستعمار بكافة ألوانه، وارتبطت بالسلطان العثماني "عبد الحميد الثاني" على المستوى الرسمي، أما في الأوساط الشعبية فقد عرف بها "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده"، وغيرهم، ولكن إذا كانت أساسها يقوم على تحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار الأجنبي، ترى ما هو صداها لدى الجزائريين الذين كانوا يسعون لتحرير بلادهم من الاستعمار الفرنسي؟

1 -صدى فكرة الجامعة الاسلامية لدى الاوساط العامة في الجزائر:

إن أول ما تفطن له السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني" لتجسيد فكرة الجامعة الإسلامية، هو التركيز على الشعور الديني الذي يربط كافة المسلمين، واجتهد على بث الدعاية للهجرة إلى الأراضي العثمانية بالنسبة للذين استولى الكفار على بلادهم، وعلى إثر ذلك عرفت الهجرة الجزائرية في عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" أوجها خاصة بعد أن وجد الجزائريون المعاملة الحسنة من طرف السلطات العثمانية.

ولما كانت أفكار الجامعة الإسلامية تتقاطع مع مبادئ الجزائريين فإن عددا هاماً منهم دخل الجمعيات السرية التي أسسها السلطان "عبد الحميد الثاني"، في "المدينة المنورة " لنشر أفكار الجامعة الإسلامية، كما أصبحوا أعضاء بارزين في لجانها التي انشئت لتمثيل المسلمين الذين كانوا تحت الاستعمار الأوروبي[1].

ولعبت الصحف التي كانت تصدر في الديار العثمانية دوراً كبيراً في نشر أفكار الجامعة الإسلامية، مثل "المعلومات" التي كانت تصدر بالإستانة ، و"ثمرة الفنون" التي كان مقرها بيروت وصحيفة "الإسلام" التي كانت تصدر في الإسكندرية، حيث صرح مدير مصلحة شؤون الأهالي "لوساني" أنه حصل على عدد كبير من هذه الصحف دون صعوبة تذكر[2]، ولعل ابرز الصحف التي كان لها انتشار واسع في الجزائر بين الطبقة المثقفة هي مجلة المنار لمؤسسها "رشيد رضا"، حيث كانت صحيفة عثمانية ناشرة لفكرة الجامعة الإسلامية بحق، وهذا ما عبرت عنه في عددها الاول سنة 1898م، حيث كتبت في صفحتها الاولى "مجلة عثمانية المشرب، حميدية اللهجة، تحامي عن الدولة العلية بحق وتخدم مولانا السلطان الأعظم بصدق"[3].

لقد وجدت الجامعة الإسلامية في الجزائر مجالا خصبا لنشر أفكارها ولا غرابة في ذلك، مادامت تدعو للتحرر من أغلال الاستعمار الأجنبي، فقد وجد في منطقة متيجة بالقرب من البليدة مجموعة من الأشعار كتبت حوالي سنة 1900م، توحي في مضمونها عن أفكار الجامعة الإسلامية[4] وأضحي الجزائريون شديدي التعلق بكل ما هو عثماني لأنها أصبحت تمثل لهم زمن النصر على الاعداء ففي سنة 1906م، لما زارت باخرة عثمانية ميناء الجزائر صعد إليها بعض الجزائريين وطالبوا بمجيء السلطان العثماني لإنقاذهم

[1]- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية ...، المرجع السابق، ج2، ص 112.

[2]– محمد غالم: المرجع السابق، ص 30.

[3]– علاء الدين يحياوي: المرجع السابق، ص 172.

[4]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ...، المرجع سابق، ج2، ص 113.

من الاحتلال الفرنسي،[1] وانتشرت شائعات أن السلطان العثماني سيأتي لتحرير البلاد، فظهرت شعارات "النصر السلطاني" التي أصبحت تردد على ألسنة الجزائريين وبات العنصر التركي في الجزائر في ذلك الوقت ينعت بأنه رجل البطولة والنصر، بعد ما كان يوصف بالرجل المستبد وازدهر الشعر الشعبي الذي يتغنى بالسلطان العثماني وأمجاده [2] .

ولاشك أن من أسباب الانتشار الواسع لأفكار الجامعة الإسلامية هي الدعاية العثمانية التي نشطت في فترة السلطان "عبد الحميد الثاني"، فقد اتهم مدير مصلحة شؤون الأهالي "لوسياني" عقب الهجرة التي مست مقاطعي المدية والشلف سنة (1898-1899)، الدعاية العثمانية ويقول انها انتشرت على يد جواسيس وتجار كانوا يعملون لنشر أفكار الجامعة الإسلامية،[3] كما اتهم السلطان "عبد الحميد" أنه عمل على تكليف أحد الأشخاص لنشر وثائق ومصاحف لنفس الغرض،[4] وعلى هذا الأساس أصبحت السلطات الفرنسية تتوجس خيفة من الدعاية العثمانية، واصبحت تعتقل كل مشتبه فيه معتبرة اياه أنه جاسوس للسلطان و داعية للجامعة الإسلامية، ولهذا السبب قامت السلطات الفرنسية بالقبض على وفد قبرصي بمجرد أن اشتبه فيه، وكان ذلك الوفد يجوب الصحراء بدعوى شراء الإبل وبعد استنطاقهم اجبروا على مغادرة الجزائر[5].

وفي سنة 1901م، نقلت جريدة "البرقة الجزائرية" خبراً مفاده، أن الإدارة الفرنسية تمكنت من ايقاف عثمانيين كانوا يحرضون ضد فرنسا ويجوبون الأسواق والمقاهي والزوايا مدعين أن السلطان العثماني "عبد

[1]- التليلي العجيلي : المرجع السابق، ص 135.
[2]- شارل روبير أجيرون : المرجع السابق، ص 498-499 .
[3]- محمد غالم: المرجع السابق، ص 31.
[4]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 498.
[5]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ....، المرجع السابق، ج2، ص 113 .

الحميد الثاني" سيأتي إلى الجزائر لتفقد رعاياه، ولكن بعد استجواب الموقوفين تأكد أنهم من الحجاز ولا علاقة لهم بما نسب إليهم [1].

ونتيجة لذلك، أمر الحاكم العام الفرنسي "جونار" آنذاك بغلق المقاهي في العمالات الثلاث، قسنطينة والجزائر ووهران، ومعاقبة كل مشتبه فيه من الجزائريين بالنفي أو الطرد، وفي نفس المناسبة نشر صحفي يدعي "أندري ميفيل" مقالاً في صحيفة "ايكو دي باري" الفرنسية عن صدى حركة الجامعة الإسلامية في الجزائر وأكد أن الوسط الجزائري يعيش غليانا غير مسبوق بسب تأثير هذه الحركة، وفي نفس الصدد أوعزت السلطات الفرنسية ثورة "عن التركي" سنة 1901م، وثورة "عين بسام" سنة 1906م، للدعاية العثمانية ولتأثير الجامعة الإسلامية [2]، و أضحى الفرنسيون ينسبون كل انتفاضة أو ثورة إلى الدولة العثمانية واعتبروها السبب الأكبر في المشاكل التي يتلقونها في الجزائر، وهو ما جعل احد الرسميين الفرنسيين يصرح: "... إن الثقة التي وضعها الأهالي في الباب العالي تبدو على الدوام السبب الأساسي الذي يفسر المعارضة التي لمسناها فيهم..."[3].

والحق أن فكرة الجامعة الإسلامية بالجزائر سابقة لهذا العهد، فإذا كانت مبادئها تقوم على الوحدة والتضامن بين المسلمين والتحرر من أغلال السيطرة الأجنبية والرجوع بالإسلام الى منابعة الصافية الأولى، فالجزائريون تفطنوا لهذا الفكر ودعوا إليه منذ أن وقفوا على حقيقة وضعهم أمام قوة الاستعمار الفرنسي سنة 1830م، وهو ما جسده "حمدان بن عثمان خوجة" و"ابن العنابي" وغيرهم[4]، ولهذا يمكننا أن نقول أن الدعاية الى فكرة الجامعة الإسلامية في عهد "السلطان عبد الحميد الثاني"، قد ساهمت في إعادة انبعاث

[1]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 134.

[2]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ...، المرجع السابق، ج2، ص 113.

[3]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 505.

[4]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية...، المرجع سابق، ج2، ص 110.

الفكرة وليس مولدها باعتبارها سابقة لذلك في الجزائر، وبهذا قد نستطيع أن نواجه فكرة المؤرخ الفرنسي "شارل روبير أجيرون" الذي يعتبر أن فكرة الجامعة الإسلامية مولدها ونشأتها هو الشرق، أما الجزائر فإنها دخلت تحت تأثيرها فقط.

ولعل مما تقدم عرضه، ندرك مدى صدى فكرة الجامعة الإسلامية التي كانت تدعو إليها الدولة العثمانية، لدى الأوساط العامة من المجتمع الجزائري فيا ترى ما هو تأثيرها على النخبة الجزائرية ؟ خصوصا أن هذه الفئة أكثر الفئات الاجتماعية تجاوباً مع واقع أمتها ؟

2-صدى فكرة الجامعة الإسلامية لدى النخبة الجزائرية:

سببت السياسة الاستعمارية الهمجية التي عرفتها الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي، في هجرة العديد من نخبها سواء هجرة قصرية أو اختيارية، وعليه كان أغلب النخب الجزائرية التي برزت في مناصرة الجامعة الإسلامية خارج الجزائر ولعل من أبرزها:

- الأمير علي بن الأمير عبد القادر (1858م-1917م)

كان" الأمير علي بن الأمير عبد القادر" من أبرز مناصري الجامعة الإسلامية، ولعل تخرجه من الجامعة السلطانية باستانبول كان من الأسباب التي جعلته أشد أبناء الأمير ولاء للخلافة العثمانية فأكسبه ذلك حضوة كبيرة لدى السلطات العثمانية، وعلى رأسهم السلطان "عبد الحميد الثاني"[1] .

وفي إطار الجامعة الاسلامية قام الأمير "علي" بمساعدة الدولة العثمانية على حفظ الأمن واخماد الفتن في بلاد الشام، خاصة أنه كان يتمتع بسمعة طيبة بين الطوائف، فقام بإخماد الفتنة التي قامت في

[1]- الأميرة بديعة: أصحاب الميمنة ...، المرجع السابق، ص 296.

جبل الدروز سنة 1906م، [1] فزادت بذلك مكانته لدى السلطات العثمانية وتم تكريمه من طرف السلطان "عبد الحميد الثاني"، بوسام تقدير عرفانا له في خدمة الدولة العلية، وظل الأمير "علي" محتفظاً بمكانته بعد خلع السلطان "عبد الحميد الثاني" سنة 1909م، حتى أنه عين ممثلاً لحزب الاتحاد والترقي بدمشق في بداية سلطته، كما كان الأمير محتفظا بمكانته لدى رجال الدولة العثمانية فإنه ظل محافظاً على ولائه لها، فقد قام سنة 1910م، بإخماد فتنة الكرك إلى جانب أخيه "الأمير عمر" [2]، وبذلك استطاع الأمير علي أن يقوم بدور كبير في خدمة الدولة العثمانية والجامعة الإسلامية بإخماده للفتن و حفظه للأمن وهو دور لا يستطيع أن يقوم به كل الناس، وقطع بذلك أطماع الدول الأجنبية التي تريد أن تتسلل إلى داخل الدولة العثمانية باستغلالها للفتن و القلاقل.

-محمد التهامي شطة (؟-1915م)

تبنى "محمد التهامي شطة " نفس الخط السياسي لسابقيه تجاه المخططات الاستعمارية الغربية، فغادر مدينته الأغواط بعد أن احتلها الفرنسيون سنة 1952م، إلى تونس والتي استقر بها حتى تمكن منها الفرنسيون سنة 1881م، فآثر الهجرة إلى دمشق كإقليم عثماني، أين أظهر ولاءه للدولة العثمانية محذرا من الدسائس التي تكاد للأمة الإسلامية، وصابا جام غضبه على السياسة الاستعمارية الغربية

[1]- هي فتنة قامت بين سكان قضاء حوران وسكان جبل العرب في سوريا سنة 1335هـ/1906م، وبأمر من حاكم سوريا ناظم باشا قام الأمير علي بن الأمير عبد القادر بإخماد هذه الفتنة التي ادت إلى قتلى بين الطرفين، أنظر: المرجع المرجع نفسه، ص298 .

[2]- جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 86.

فقام سنة 1912 م، بتأسيس صحيفة "المهاجر" [1] ليعبر عن أفكاره، ثم قام بتأسيس جريدة أخرى باسم "الاتحاد الإسلامي"، [2] التي يظهر من اسمها أنها تدعو للوحدة والتضامن بين أجزاء العالم الإسلامي وتدل على تحمس صاحبها لفكرة الجامعة الإسلامية.

- محمد الخضر حسين (1873م-1998م)

يعتبر الشيخ "محمد لخضر حسين"[3]، من ابرز النخب الجزائرية المهاجرة التي كانت تدعوا إلى الوقوف وراء الدولة العثمانية لمجابهة الأخطار التي تهدد الأمة الإسلامية، داعيا لتوثيق الصلة بين العرب والترك حاثاً على الوفاء للخليفة العثماني[4]، فقام بتأسيس مجلة "السعادة العظمى" سنة 1904م، ليجعلها منبراً لطرح أفكاره وكتب في العديد من الصحف والمجلات مؤيداً للخلافة العثمانية، وبعد رحيله إلى دمشق سنة 1912م، كلف صحبة أخيه بمهمة القيام بدعاية لمقاطعة للبضائع الفرنسية بين المهاجرين الجزائريين[5].

---

[1]- بدأت في الصدور يوم 1912/01/01، على يد "محمد التهامي شطة" في دمشق الذي هاجر إليها من تونس بعد هجرته من الجزائر بسبب الاحتلال الفرنسي، اهتمت الصحيفة بأوضاع المهاجرين الجزائريين والمغاربة في دمشق، ويقال أن الأمير "علي بن عبد القادر الجزائري"كان يشرف على شؤونها المالية، عالجت جريدة المهاجر بالخصوص القضايا ذات الطابع الاسلامي الوحدوي . أنظر: التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 198.

[2]- عمار هلال : ابحاث ودراسات...، المرجع السابق، ص 404 - 405 .

[3]- ولد سنة 1873م ،بنفطة التونسية اصله من طولقة (بسكرة)، هاجرت عائلته بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، انتقل سنة 1886م إلى تونس العاصمة للدراسة في جامع الزيتونة ومنها حصل على شهادة التطويع سنة 1898م، زار بلده الأصلي مرتين الأولى سنة 1903م، والثانية سنة 1904م،حيث التقى بالعديد من المصلحين في الجزائر أمثال "عبد القادر المجاوي" وفي نفس السنة اصدر مجلة السعادة العظمى، عرف بولائه للدولة العثمانية فعين مساعداً في وزارة الحربية العثمانية، أنظر: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص311 – 313.

[4] - Amar Hellal, Le Mouvement Reformiste Algeriens les hommes et l'histoire(1831-1957),O.P.U, Alger , 2002, p 48

[5]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 194.

- صالح الشريف

قام "صالح الشريف" [1] بتأسيس "جمعية الاتحاد الجزائريين التونسيين" في القسطنطينية سنة 1910م، ويقال أن ثمانين شخصاً من بين تونسيين وجزائريين حضروا الاجتماع التأسيسي، وكان عدد هام من الأعيان الجزائريين والتونسيين يقومون بتنشيط فرعها في دمشق، و عملت هذه الجمعية بتأطير الدعاية لفكرة الجامعة الإسلامية ولعل أبلغ شاهد على ذلك أنه لما وصلت المدرعتين "خير الدين بربروس" و"درغوث رايس"، اللتين اشتراهما الباب العالي من ألمانيا في سبتمبر 1910م، إلى السواحل العثمانية، حضر جمع غفير من الجزائريين المقيمين في استانبول فشاهدوا السفينتين وقد كتب عليها "باللغة العربية والتركية" تحية و احتراماً للمهاجرين الجزائريين والتونسيين وللبطلين "خير الدين بربروس" و"درغوت رايس"، وفي تلك المناسبة قام الجزائري "صالح الشريف" بإلقاء خطاب إلى جانب التونسي المدعو "حبيب باي" الذي أكد " أن الجزائريين والتونسيين كانوا وسيظلون عثمانيين"[2].

وفي اعتقادنا أن حضور الجزائريين لمثل هذه المناسبة كان لإثبات ولائهم للجامعة العثمانية، كما كان يحلو للفرنسيين أن يسموها، وعلى الرغم من أن الاتحاديين قاموا بخلع السلطان "عبد الحميد الثاني" سنة 1909م، الذي عرف بدعوته لفكرة الجامعة الإسلامية، واشتهروا بانتهاجهم سياسة معادية للعرب، إلا أن كتابة شعار "تحية للمهاجرين الجزائريين"، بالعربية في هذه المناسبة خير دليل على رغبتهم في التمسك بفكرة الجامعة الإسلامية، التي أدركوا قوة رابطتها، وذلك على ما يبدو حتى يتمكنوا من تحقيق مآربهم.

1- أصله من الجزائر وبالتحديد من بجاية، هاجرت اسرته كبقية الأسر الجزائرية إلى تونس في النصف الأول من القرن 19، وبتونس ولد صالح الشريف وتعلم ومنها هاجر إلى المشرق كان له دور بارز أثناء الحرب العالمية في بث الدعاية العثمانية، أنظر: علاء الدين يحياوي: المرجع السابق، ص 178.

2- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 203- 204.

-خوالدية صالح

كان "خوالدية صالح"[1] من اشد النخب الجزائرية المهاجرة تحمساً لفكرة الجامعة الإسلامية، ورغم أنه كسب ثقة السلطات الفرنسية في بداية أمره، إلا أن تفطنهم لنشاطه السياسي جعلهم يصدرون في حقه حكماً بالسجن، فلجأ إلى تونس سنة 1903م، [2] اين قام بنشر مقال بعنوان:" نداء الثورة"، في جريدة "البرقية التونسية" في عددها الصادر يوم 01جانفي 1906م، و الذي وصل فيه إلى ضرورة الوقوف أمام الخطط الماكرة التي تهدف الى هدم الإسلام، وفي مقال آخر له بعنوان "الإسلام" الذي نشر في جريدة مصرية يوم 06أفريل 1906م، خلص فيه إلى أن القوى الأوروبية تسعى جاهدة لإسقاط الخلافة العثمانية لتحقيق مشاريعها الاستعمارية في الأمة الإسلامية[3].

ونظرا لكون "خوالدية"،كان عضوا نشطا في الدعاية للدولة العثمانية، فإنه تصدى لأفكار القومين العرب ، فقام بكتابة مقال بعنوان "الثورة العربية"، نشر في جريدة" البرقية التونسية" في عددها الصادر يوم 21ديسمبر 1905م، يرد فيه على "نجيب عازوري" الذي اصدر كتاب "يقظة الأمة العربية" بباريس سنة 1905م، الذي اعتبر فيه أن الأتراك هم سبب تأخر العرب، وفي المقال اتهم "خوالدية" "نجيب عازوري" بعمالته للدول الأوروبية، مؤكداً أن حركة القوميين العرب هي من صنع هذه الدول التي تهدف إلى تهديم

---

[1]- أصله من قرية بني مزلين (قالمة)، ولد في حدود سنة 1879م، تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه ثم انتقل إلى قسنطينة سنة 1895م، اين انتسب إلى مدرسة الكتابية، وفي حدود سنة 1903م، سجن بسبب نشاطه السياسي، انتقل إلى تونس ومصر داعياً للوحدة والتضامن بين المسلمين والوقوف في وجه الأطماع الأجنبية، كتب في العديد الصحف معالجاً الوضع المأساوي للأمة الإسلامية ومن أهم أعماله في خدمة الجامعة الإسلامية، أنه أسس "هيئة الاتحاد الإسلامي". أنظر: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص99- 101 .

[2]-. عمار هلال: أبحاث ودراسات...، المرجع السابق، ص 309 .

[3]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 212 - 213 .

أركان الخلافة العثمانية والأمة الإسلامية جمعاء، متسائلا عن اي حق يسمح لـ"عازوري" المسيحي بالتدخل في منازعة الأتراك في مسألة الخلافة معتبرا أن ذلك يخص المسلمين وحدهم[1] .

وعلى الرغم من أن "صالح خوالدية" كان من أنصار الجامعة الإسلامية إلا أن نشاطه لم يبرز إلا بعد خروجه من الجزائر سنة 1903م، ولعل هذا ما يؤكد ما طرحناه آنفاً من أن النخب الجزائرية التي اشتهرت بولائها للجامعة الإسلامية كانت في ديار المهجر، لسبب بسيط هو طبيعة الاستعمار الذي كانت تعرفه الجزائر و الذي سببت سياسة العنصرية في زيادة حدة صدى الجامعة الإسلامية لدى الجزائريين .

اجمالاً، يمكن ان نعتبر أن فكرة الجامعة الإسلامية لقيت صدى كبيرا لدى الجزائريين، ولذلك نادوا بالوحدة والتضامن بين المسلمين والوقوف في وجه الأطماع الأجنبية التي تهدف للاستلاء على أجزاء العالم الإسلامي، ولكن إذا كان الأمر كذلك فما موقف الجزائريين من الحروب العثمانية الأوروبية قبيل الحرب العالمية الاولى؟ خاصة وأن هذه الحروب كانت تجسد التنافس الأوروبي على اقتسام أجزاء العالم الإسلامي؟ في وقت كانت فكرة الجامعة الإسلامية قد بلغت ذروتها.

-المبحث الثاني: موقف الجزائريين من الدولة العثمانية في حروبها قبيل الحرب العالمية الأولى

عرفت الدولة العثمانية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تزايد مشاكلها وتعدد مسائلها، حيث عملت الدول الأوروبية على شن حملة شرسة لنهش ما تبقى من ممتلكات الرجل المريض، وفي ظل هذه الظروف قامت إيطاليا بإعلان الحرب على طرابلس الغرب سنة 1911م، كأحد أجزاء الإمبراطورية

[1]- علاء الدين يحياوي: المرجع السابق، ص 175.

العثمانية، ولم تكد تزول أثار حرب طرابلس، حتى تجددت مشكلة الأقليات في البلقان التي رغبت في الانفصال عن الدولة العثمانية في وقت بلغ فيه صدى الجامعة الإسلامية في الجزائر ما بلغ.

1-الحرب العثمانية الإيطالية (1911م-1912م)

قامت إيطاليا بإعلان الحرب على طرابلس في 29سبتمبر 1911م، وبما أن الجزائريين كانوا من أشد أنصار الجامعة الإسلامية فإن وقع هذه الحرب كان شديدا عليهم، لذلك لم يتأخروا في مساندتهم للدولة العثمانية سواء تضامناً أو مشاركة، وعلى أثر ذلك دخل "الأميرعلي" بن "الأمير عبد القادر" الحرب إلى جانب العثمانيين،[1] كما شهدت هذه الحرب مشاركة عدد هام من المهاجرين الجزائريين الذي كانوا ملتفين حول الطريقة السنوسية، وذلك بعد أن قام الأمير "علي بن عبد القادر" بالتوفيق[2] بين إخوان الطريقة السنوسية والعثمانيين[3] .

وفي داخل الجزائر اثبت الأهالي صدق تعاطفهم مع الدولة العثمانية، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الفرنسي "شارل روبيرأجرون ": "لقد أسفرت الحرب التركية الإيطالية بالنسبة للإدارة الفرنسية في الجزائر عن خيبة أمل أكيدة، حيث أثبت الجزائريون خلالها أنهم يفضلون الانصياع لولائهم الطبيعي و اخوانهم في

[1]- الأميرة بديعة: أصحاب الميمنة....، المرجع السابق، ص 305.

[2]- ذكرت جريدة العلم المصرية في عددها الصادر في 07 أكتوبر 1910م، نقلا عن جريدة Le Temps الفرنسية أنه يوجد في جنوبي مدينة طرابلس جماعات متدينة تدعي أنها من سلالة نبي الإسلام وهي السنوسية التي نشرت الإسلام في أعماق تشاد وأن افرادها يكرهون العثمانيين ولكن بفضل رجل له مكانة كبيرة بين العرب أمكن خلق تقارب بين آل عثمان والسنوسيين وهذا أمر مخيف ترجو الدول الأوروبية أنه لم يحدث وقد كان الرجل الكبير هو الأمير "علي" بن الأمير "عبد القادر الجزائري"، وكان من اقطاب الجمعية الإسلامية، أنظر: الأميرة بديعة: اصحاب الميمنة ...، المرجع السابق، ص 304.

[3]- محمود ابراهيم: المرجع السابق، ص 32.

الدين"[1] وإذا كانت شهادة الإدارة الفرنسية هذه تعبر عن تعاطف الجزائريين مع الدولة العثمانية في هذه الحرب، فلنتأمل في شهادة أحد الجزائريين الذي عايش الحدث وهو "أحمد توفيق المدني"[2]، حيث يقول:"... لا أزال أذكر ذلك اليوم الرهيب وهو أسوء يوم في حياتي دون ريب، وقلبي يلتهب، ودمي يفور، ... عندما فوجئت بذلك الحدث الرهيب ..." ، و لا يمكن أن نستغرب ردة فعله القوية تجاه هذا الحدث، فقد عمل على بث دعاية واسعة في تونس للجهاد إلى جانب العثمانيين، حيث يقول "وجمعت حولي بعض المتحمسين لي من أبناء المدرسة، واعتقدت أنني أقوم بواجبي في هذا الجهاد الإسلامي الوطني العظيم، عندما كنت أطوف الأسواق و الحارات وأحرض على الجهاد.."[3].

كما عرفت الجزائر غليانا شعبيا كبيرا ونقمة على الإيطاليين، وعبر الجزائريون صراحة عن مؤازرتهم لإخوانهم الاتراك والليبيين حتى خشت فرنسا ان تقوم اضطرابات من شدة الغليان الذي اصبح ظاهرا على الأهالي فأرخت قبضتها قليلا عليهم، وسمحت لهم بالتبرع لصالح لجان الهلال الأحمر لمساعدة الجرحى الليبيين وقد شهدت حملة التبرع مشاركة واسعة من زعماء الدين والنخبة،[4] وربما يعود سماح فرنسا بجمع التبرعات لصالح العثمانيين هو لخوفها من تأثيرات الدعاية العثمانية والتي سيستقبلها الجزائريون بكل حماسة في هذا الظرف، فأقدمت على ذلك لتطيب خاطر الجزائريين خاصة أنها أصبحت تتوجس أكثر خيفة من الدعاية العثمانية منذ مطلع القرن العشرين، وعمل الجزائريون على إلصاق المنشورات الحائطية التي دعوا فيها

---

[1]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 505.

[2]- ولد يوم 01 نوفمبر 1889، بتونس وهو سليل أسرة جزائرية هاجرت بعد الاحتلال الفرنسي، نشأ نشأة إسلامية وعربية قحة، عرف بحسه السياسي وبولائه للدولة العثمانية، فكان ذلك سببا في دخوله السجن سنة 1915م،بتهمة التحريض على فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى ، ولم يطلق سراحه إلا في أواخر 1918م، وبعد سبع سنوات انتقل إلى الجزائر، شارك في الثورة التحريرية وعين ممثلا لجبهة التحرير الوطني في القاهرة سنة 1956م، وبعد الاستقلال عين وزيرا للشؤون الدينية والأوقاف، توفي سنة 1983م، أنظر: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص 333.

[3]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج1، ش. و .ن .ت، ط2، الجزائر، 1988، ص36-37.

[4]- ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية...،المرجع السابق، ج2، ص 117.

للتظاهر أمام القنصلية الإيطالية[1]، ولمقاطعة البضائع والتجار الإيطاليين وقد أدى ذلك الوضع المشحون إلى وقوع اشتباكات بالأيدي عدة مرات مع الجالية الإيطالية في عنابة وبجاية وغيرهما من المدن الجزائرية، وكان الجزائريون يتفاعلون مع مختلف الأحداث التي تشهدها الحرب، فكانوا يتجمعون ملتفين بعمائمهم وبرانيسهم امام الأكشاك ونقاط بيع الصحف ينظرون إلى الصور التي تبين انتصار العثمانيين على الإيطاليين[2].

لقد اثبت الجزائريون خلال هذه الحرب صدق ولائهم للدولة العثمانية، وهذا ما جعل الإدارة الفرنسية تندهش من كثرة التبرعات التي قدمت إلى لجان الهلال الأحمر لإسعاف الجرحى الليبيين والعثمانيين، فقد وصلت قيمة التبرعات في قسنطينة وحدها إلى 344000 فرنك ناهيك عن المناطق الأخرى.[3]

ولعبت الصحف الجزائرية في هذه المناسبة الدور الأبرز في مساندة العثمانيين حيث كانت جريدة "الحق الوهراني" [4] في طليعة هذه الصحف، حيث ذكرت في عددها 39 الصادر في جويلية 1912م، أن إيطاليا لن تجن أي نفع بغزوها لطرابلس مؤكدة على أن العثمانيين سيسحقون أعدائهم الإيطاليين "... لم تجد نفعا-إيطاليا- في غزوها لسواحل طرابلس ... إلا رأينا مسلمي البلاد العثمانية لا يلوون على محبة أو إخاء أو مدينة بل يهبون عن بكرة أبيهم كالأسود الكاسرة للانتقام لديهم وسرعان ما تبعهم جميع المماليك

[1]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 152.

[2]- أبو قاسم سعد الله: الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ج2، ص 117.

[3]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 505.

[4]- صدر أول عدد لها يوم 14 أكتوبر 1911، وكانت صحيفة ذات طابع إسلامي بحق، حيث تناولت على أعمدتها مختلف القضايا الوطنية والإسلامية قبيل الحرب العالمية الأولى، كما عرفت بتوجهها الوحدوي والدعوة للتضامن بين المسلمين والوقوف وراء الخلافة العثمانية لمواجهة المخططات الأجنبية، كان آخر عدد لها بتاريخ 24أوت 1912، ساهم في تحريرها من العاصمة بن منصور الصنهاجي والتاجر دريسي من مدينة. "سلا" المغربية، أنظر:

- ابراهيم مهديد: الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية، جريدة الحق الوهراني نموذجاً 1911-1912، مجلة عصور، العدد 06-07، جوان –ديسمبر 2005، تصدر عن مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، وهران، ص 19.

الإسلامية ... لاشك ولا شبهة قط في أن الظفر سيكون حليف العثمانيين..."[1] ونلاحظ أن الصحيفة لم تكن تعتبر أن حرب طرابلس حرب العثمانيين والليبيين فقط، بل هي حرب كل المسلمين الذين يعتبرونها حربا على الإسلام، ولهذا نجدها لقيت صدى كبيرا لدى الجزائريين، وفي اطار التضامن الذي أبدته هذه الصحيفة مع العثمانيين في هذه الحرب قامت إدارتها بمبادرة مع بعض المتعاطفين مع القضية بتكوين لجان على المستوى الوطني لجمع التبرعات لفائدة المنكوبين من جراء الحرب،[2] وعلى إثر ذلك حصلت لجنة مدينة مستغانم وحدها أزيد من 3000 فرنك خلال أسبوعين، ووصل المبلغ الإجمالي للتبرعات حوالي 410000 فرنك وذلك باحتساب كافة لجان الموزعة على مستوى الوطن،[3] وعلى الرغم من الوضع الاقتصادي المزري الذي كان يعيشه الجزائريون، إلا أننا نجد إقبالا كبيرا من جانبهم على اسعاف اخوانهم الليبيين والعثمانيين في هذه الحرب، ولعل هذا ما يدفعنا أن نرجح ذهابهم إلى طرابلس لمشاركة اخوانهم في الدين في هذه الحرب التي هزت مشاعرهم وأثارت عواطفهم ، خاصة في ظل تواجد عدد هام من المهاجرين الجزائريين من أتباع الحركة السنوسية الذين شاركوا في الحرب.

لقد أفصح الجزائريون عن أبرز معاني الولاء والتضامن إلى جانب العثمانيين فلم يقتصر عملهم على الدعم المالي والتجند في الصفوف العثمانية، بل نجد إلى جانب ذلك أنه كان منهم من يقوم بتهريب الأسلحة والضباط العثمانيين الذين يردون على تونس إلى جبهات القتال، وهذا ما شهد عليه "توفيق المدني" عن خاله "محمد بويراز" حيث يقول: "كان على رأس هيئة تونسية تعمل على تهريب الضباط

[1] - المرجع نفسه، ص 12.

[2] - Djeghloul Abdelkader, op, cit, p 89.

[3] - ابراهيم مهديد: المرجع السابق، ص 14.

الأتراك والأسلحة التركية التي ترد على البلاد التونسية مهربة ...ومنها تأخذ طريق الصحراء على ظهور الإبل"[1] حتى تصل إلى جبهات القتال في ليبيا.

وكان "عمر بن قدور"[2] من أشد الناس تأثرا بهذه الحرب فسخر قلمه للتعبير عما يختلج في صدره تجاه القضية، فكتب في ذلك عدة مقالات نشرت في جريدة "الحاضرة " التي كانت تصدر باستانبول واعتبر أن حرب طرابلس هي "بداية انفراط العقد الإسلامي وبداية سقوط حباته واحدة تلوى الأخرى..."، ولم يقتصر "بن قدور" عن معالجة القضية الطرابلسية نثرا بل انبرى شعرا يناصر القوم في طرابلس أيام الحرب

فكتب يقول: رعى الله قوما في طرابلس الغرب فضل الشرق منهم على الغرب

وبعد سقوط طرابلس ازداد "بن قدور" تحسرا ولوعة لما آل إليه حال الخلافة بعد فقدان آخر معقل لها في افريقيا فنظم قصيدة طويلة بعنوان "ياشرق" مما جاء فيها:

ياشرق هذه المصائب تنجلي أوْ تنتهي الغليان من ذا المرجل

ويقول أيضا: إذا كان حقك في الحقيقة ضائعا فكما تضيع إذن حقوق المغفل

صالت عليك مطامع الغرب الذي أرضعته لبنى الترقي الأكمل[3]

---

[1]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، المصدر السابق، ص 41.

[2]- ولد في حدود 1886م، بمدينة الجزائر و بها نشأ وتعلم، كاتب وشاعر من رواد الصحافة الإسلامية والوطنية، عرف باتجاهه الإصلاحي، اصدر جريدة الفاروق في فيفري 1913م، وعالج على أعمدتها العديد من القضايا الإسلامية والوطنية ن فأخذ عنه الاستعمار من خلال جريدته الفاروق نزعته العثمانية فنفوه إلى الأغواط وظل معتلا هناك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وبعد إطلاق سراحه أعاد إصدار جريدته الفاروق، لكنه بعد فترة قصيرة اعتزل السياسة وانزوى في خلوة صوفية حتى توفي سنة 1923م، أنظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص 243-244.

[3]- عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ش .و .ن .ت، الجزائر، 1981م، ص ص 682 -685 .

لقد اظهر "عمر بن قدور" عن شدة تأثره بضياع طرابلس من الدولة العثمانية بل اعتبر ضياعها مصيبة للإسلام، مؤكداً أن الغفلة عن الدسائس والمؤامرات التي حيكت ضد الدولة العثمانية من طرف الغرب والتي ينفذها حزب الاتحاد والترقي هي التي أدت إلى سقوطها .

إن إدراك الجزائريين لحقيقة الاستعمار الأوروبي وما يتبعه من مسخ للشخصية والقضاء على كل مقومات الهوية الإسلامية، قد أنتج لديهم عقيدة لكره كل سيطرة أجنبية مهما كان نوعها، وقد زادت الحدة مع اتساع المد الاستعماري الأوروبي باستلاء فرنسا على كل من "وجدة" في مارس 1907م، و"الرباط" في أوت 1909م، وبداية التراجع العثماني في أوروبا وصولاً إلى طرابلس سنة 1911م،[1] والتي هزت مشاعر الجزائريين وحركت عواطفهم فأبانوا فيها عن صدق ولائهم للخلافة العثمانية وما زاد من ذلك هو طبيعة المستعمر الفرنسي، الذي أبان عن سياسة عنصرية تجاه لكل ما هو محلي.

وفي ظل هذه العاطفة العثمانية التي اكتسحت الجزائر وقبل أن تخرج الدولة العثمانية من حرب طرابلس،[2] دخلت في حروب مع دول البلقان التي استغلت الفرصة لتحقيق الأمل الذي ظل يراودها للانفصال عن الدولة العثمانية، فيا ترى كيف كان رد فعل الجزائريين تجاه هذه الحرب الجديدة التي دخلتها الدولة العثمانية ؟ هل لقيت هذه الحرب صدى لدى الجزائريين ؟ أما أنها اعتبرت حربا تخص الأتراك وحدهم ؟

[1]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 431 - 432 .

[2]- إنتهت حرب طرابلس بعد توقيع معاهدة اوشي في 15 أكتوبر 1912م، بين الدولة العثمانية وايطاليا بموجبها اعترفت الدولة العثمانية بحق ايطاليا في طرابلس بسبب ضغط مشكلة البلقان، أنظر:

- روبير منتران وآخرون: تاريخ الدولة العثمانية، ج2، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، 1992م، ص 283.

2-حروب البلقان (1912م-1913م)

بادر الجبل الأسود في 08 أكتوبر 1912م، بإعلان الثورة على الدولة العثمانية ثم لحقت به كل من بلغاريا واليونان وصربيا،[1] ولم يمض شهر حتى تمكنت قوات التحالف من إلحاق هزائم نكراء بالجيوش العثمانية، ووصلت إلى مشارف استانبول وانتهت الحرب بتوقيع معاهدة في لندن أواخر ماي 1913م، لكن النزاع تجدد بسبب وقوع خلاف بين دول العصبة البلقانية، فاستغلت الدولة العثمانية الفرصة واستطاعت استعادة ادرنة من البلغار بعد انضمامها إلى حلف اليونان والجبل الأسود والصرب ضد بلغاريا، وانتهت هذه الحرب التي سميت بالحرب البلقانية الثانية[2] بتوقيع معاهدة "بوخارست" 19 أوت 1913م[3].

لقد اعتبرت هذه الحرب نكسة جديدة للدولة العثمانية وللمسلمين قاطبة، فخبر سقوط طرابلس لم يمح من الأذهان حتى جاءت الضربة البلقانية كما نعتها الصحفي "عمر بن قدور"، والذي سخر قلمه وجريدته "الفاروق"[4] للتعبير عن تضامنه مع الدولة العثمانية، فكتب مقالا في صحيفته بعنوان:"مصيبة تركيا في عدم الاعتبار"، متحسرا فيه على ما آل إليه وضع الخلافة وما تمر به من نكبات بسبب غفلتها وتخاذل رجالاتها فيقول "... كل مسلم في هذا الوقت أصبح رهين الغيظ الشديد واسير الآلام من مصيبة تركيا بل مصيبة الإسلام... حتى أن المرء ليحسب كأنها القيامة أقبلت بفزعها الأكبر وشرها الأحمر، وما هي في الحقيقة إلا مغبة اهمال،... لايحسبن المرء هذه الضربة البلقانية هي من قبل تلك الضربات التي حلت في الشرق والغرب

[1]- المرجع نفسه، ص 286.

[2]- اسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996، ص 218.

[3]- روبير منتران وآخرون: المرجع السابق، ص286.

[4]- صدرت سنة 1913م، على يد "عمر بن قدور" اهتمت بالقضايا العربية والإسلامية ونشر أفكار الوحدة والتضامن بين المسلمين، فكانت من بين الصحف الأهلية التي ساهمت في تنوير الفكر المحلي والدفاع عن مقومات الشخصية الإسلامية، توقفت عن الصدور سنة 1915م، أنظر:

- Ihaddaden Zahir, Histoire de la presse indigene en Algerie : des origines jusqu’en 1930, E.N.A.L, Alger , 1983 ,p 218-232 .

على الشعوب الإسلامية... وهل نسي الناس نكبة الأندلس وسقوط ذلك العز العظيم والتقدم الكبير والمجد الرفيع تلك هي الضربة الأولى لو تعلم ، وهذه الثانية ولم يبق إلا ثالثة الاثافي...، هذه الضربة الثانية قد وقعت وستتلوها الثالثة وهي القارعة ... إذ بقي سلطان عدم الاعتبار"[1].

أظهر "عمر بن قدور" عن تضامنه الكبير مع الدولة العثمانية متحسرا على انكسارها أمام دويلات العصبة البلقانية، التي لم يكن متوقعا انتصارها على جيش الدولة العثمانية واعتبر أن هذه الخسارة ليست خسارة تركيا فقط بل هي خسارة كل المسلمين، لأنه يعتبر أن الدولة العثمانية هي قاعدة المسلمين ورمز وحدتهم ويرجع سبب التدهور والانحطاط إلى ما أصاب الدولة من تسيب وعدم المبالاة من حكامها، ويؤكد ان هذه الضربة من أعظم الرزايا التي اصابت المسلمين عبر تاريخهم ويقارنها بنكبة الأندلس، ويعتبر أن سقوطها لم يكن إلا سبب التسبب واللهو الذي وقع فيه ناسها وحكامها، ويصل بعد مقارنته هذه إلى التنبؤ بسقوط الخلافة العثمانية إذا استمر سلطان عدم الاعتبار، ويصف حدث سقوط الخلافة بالقارعة التي ستحل على المسلمين باعتبار أن الدولة العثمانية رمز المسلمين ضد المسحيين الأوروبيين، وكانت جريدة "الفاروق" تتابع الأحداث في البلقان بدقة وتنشر الأخبار المتعلقة بها وتدعم الأخبار بصور وخرائط توضيحية لمنطقة البلقان [2].

ومن الصحف التي تضامنت مع الدولة العثمانية في مشكلتها البلقانية نجد صحيفة "المهاجر" التي أسسها "محمد التهامي شطة" بدمشق سنة 1912م،[3] حيث نشرت في خضم هذه الحرب في عددها الصادر يوم 30 ديسمبر 1912م، مقال بعنوان "ايها العرب" أكد ت فيه أن الهدف من الحروب ضد الدولة العثمانية وهو لا ضعاف الإسلام و" أن كل ما يسمع به عن الحلف الثلاثي ليس في الحقيقة إلا

[1]- محفوظ تاونزة: المرجع السابق، ص137- 138.
[2]- المرجع نفسه ، ص 138.
[3]- عمار هلال: أبحاث ودراسات....، المرجع السابق، ص 404- 405.

اتفاقا على انتزاع بلاد المسلمين من سكانها"، معتبرة أن كل ما تسعى إليه الدول الأوروبية هو افناء دين الإسلام[1]، وبذلك وجدت الصحيفة ضالتها للتعبير عن آرائها بالوقوف إلى جانب دولة الخلافة مستغلة الانكسارات المتتالية التي بات يشهدها العالم الإسلامي، مفصحة بذلك عن صدق تعاطف المهاجرين الجزائريين مع الدولة العثمانية في محنتها البلقانية باعتبارهم القائمين عليها وقد وجهت الصحيفة في مقالها السابق الذكر، اشارات الى القوميين العرب الذين يصدقون شعارات الحرية والعدالة التي تبثها فيهم الدول الأوروبية محذرة من مغبة عداء دولة الخلافة.

ولعل التحدث عن حركة القوميين العرب يجرنا للإشارة الى المؤتمر العربي بباريس الذي انعقد في ماي 1913م، أي في عز الحرب البلقانية و الذي طالب فيه دعاته إلى الاستقلال الإداري والسياسي عن الحكم المركزي العثماني،[2] وإذا كانت هذه المطالب عكست بالخصوص رأي المشارقة، فإن معظم المغاربة الذين منهم الجزائريين لم يحضروا هذا المؤتمر بل لم يكونوا على رغبة من انعقاده البتة أو على الأقل في هذا الوقت الذي يعتبر بمثابة فتح جبهة جديدة على الدولة العثمانية المنشغلة بمشكلة البلقان، ورغم أن "الأمير خالد" تلقى دعوة رسمية للحضور إلا أنه اكتفى بالرد على المؤتمرين بتمنياته في نجاح مؤتمرهم شريطة ألا يهدف للخروج عن الخلافة العثمانية [3].

ولعل ابلغ شاهد عن تضامن الجزائريين مع الدولة العثمانية في مشكلة البلقان وهو موقف "أحمد توفيق المدني" الذي استنكر المؤتمر العربي بباريس واعتبره مساعدة للدول الأوروبية التي استثارت دول البلقان للهجوم على الدولة العثمانية، مؤكدا أن الأولى للعرب هو الوقوف الى جانب هذه الدولة ضد الحلف

---

[1]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 198- 199.

[2]- فليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ،ج2، ترجمة: كمال اليازجي، دار الثقافة، ط2،بيروت، 1972م، ص 358.

[3]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 181.

الأوروبي حيث كتب يقول: "كنا نستريب انعقاد مؤتمر باريس ولا نتوقع من وراءه خيرا "، ثم يستشهد بكلام أحد الوطنين التونسيين يدعى "الشاذلي بن المورالي" فيقول : ".. إن أوربا ...استشارت رومانيا وبلغاريا وصربيا والجبل الاسود واليونان فجهزوا جيوشهم وهاجموا بلاد السلطنة العثمانية من كل جانب..."، ويصل المدني ليصف حاله ويبن تألمه بسبب انكسار الجيوش العثمانية أمام دول العصبة البلقانية قائلا: "كنا نتتبعه يوميا في جريدة "الزهرة" ولاد بشن تونزيان" وكانت قلوبنا تتحطم وكانت نفوسنا تحترق.."[1]، ولعل هذه الشهادة تعبر عن مدى تضامن الجزائريين مع الدولة العثمانية في مشكلتها البلقانية.

وخلاصة القول هي أن حرب طرابلس سنة 1911م، قد اثبتت صدق تعاطف الجزائريين مع الدولة العثمانية وازدادت أواصر التواصل بحلول الأزمة البلقانية (1912م-1913م) التي كانت من اسباب اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، في وقت ازدادت فيه مطالب القوميين العرب الذي عقدوا مؤتمرهم في باريس سنة 1913م، ملمحين بإشارات انفصالية عن الدولة العثمانية، فيا ترى كيف كان موقف الجزائريين من الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى ؟ هل كان انحيازهم للقوميين العرب وبالتالي يكونوا قد نزلوا في نفس صف الفرنسيين الذين حاولوا كسبهم ؟ أم أنهم حافظوا على ولائهم للخلافة العثمانية ؟

[1]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، المصدر السابق، ص 55 -57.

-المبحث الثالث: الجزائريون و الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى

شهدت فترة ما قبيل الحرب العالمية الأولى ازدياد أواصر التواصل بين الجزائريين والدولة العثمانية بسبب اتساع رقعة المد الاستعماري الأوروبي على حساب البلاد الإسلامية، في وقت كان فيه الجو السياسي الأوروبي ينبئ بقيام حرب قريبة لاشك أن الدولة العثمانية طرف فيها.

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى في 11 نوفمبر 1914م، إلى جانب كل من النمسا وألمانيا ضد كل من فرنسا وانجلترا وروسيا[1] في وقت كان فيه الجزائريون في قمة السخط على الاستعمار الفرنسي منذ فرض قانون التجنيد الإجباري في فيفري 1912م،[2] وبهذا القانون قامت فرنسا بتجنيد أكثر من 82000 جزائري اجتازت بهم محنة الحرب العالمية الأولى،[3] وفي الطرف المقابل نجد أن الدولة العثمانية التي دخلت الحرب انتظرت مناصرة الجزائريين لها كغيرهم من المسلمين، ولأجل ذلك قامت ببث دعاية واسعة إلى جانب حليفتها ألمانيا في الأوساط الجزائرية، لكن فرنسا عملت على مواجهة هذه الدعاية بدعاية مضادة وشجعت على توزيع المنشور الأول للثورة العربية في الجزائر بعد دخول الثوار العرب إلى صفها في الحرب.

1- روبير منتران وآخرون: المرجع السابق، ص 307.

2-كان من بين اهداف فرنسا من تجنيد الجزائريين هو خلق عناصر تحب فرنسا وتدافع عليها وتكوين جيل موال لها، لكن خيبة الأمل الفرنسية ظهرت عندما اصبح المجندون الجزائريون يفرون من الجيش الفرنسي الى صف العثماني والألماني ، أنظر - Payson, Le Servise obligatoire pour les indigènes en Algérie, Revue Africaine, N 52, 1908 ,P 116.

3- عمار بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص ص 210-215

-الدعاية العثمانية الألمانية :

قامت الدولة العثمانية بإعلان الجهاد المقدس ضد المسحيين في 14 نوفمبر 1914م، وكلفت الدعاة والجواسيس لنشر فتوى الجهاد على مختلف مساجد الديار الإسلامية كما قامت بتوجيه نداء خصت به الشعوب الإسلامية الواقعة تحت سيطرة الحلفاء، وكان من بين الموقعين على هذا النداء أحد الجزائريين يدعى "عمر الورغي"، [1] وعملت ألمانيا حليفة الدولة العثمانية على اعداد مناشير كتبت باللغة العربية بل فيها من كتب حتى بالدارجة الجزائرية، ألقيت على الجزائريين في جبهات القتال وتضمن هذه المناشير دعاية ضد فرنسا التي لم تتوقف عن الإساءة للإسلام منذ احتلالها للجزائر،[2] وقد عثرت السلطات الفرنسية على عدد هام من هذه المناشير التي تدعوا الجنود المغاربة وخصوصا الجزائريين للفرار من الصف الفرنسي و الانضمام إلى إخوانهم في الدين، [3] و استغلت ألمانيا تحالفها مع الدولة العثمانية لتشن حملة دعائية واسعة ضد فرنسا وحلفائها باسم الإسلام، وقد أكد ذلك المستشرق الألماني "كارل بيكر" في كتابه "ألمانيا والإسلام" الذي نشره في خضم الحرب، أن بلاده يمكنها أن تكسب جماهيرا غفيرة من المسلمين بتحالفها مع الدولة العثمانية واعتبر الجزائريين من أهم هذه الشعوب التي يمكن المراهنة عليها مراهنة كبيرة،[4] ولعل ذلك يعود بعد علمه بالسخط الكبير والغليان الشعبي الذي تشهده الجزائر بسبب تجنيد ابنائهم قصرا من طرف فرنسا، وهو ما جعل الألمان يركزون على استمالة الجزائريين من الصفوف الفرنسية وتحفيزهم للانضمام إليهم وإلى إخوانهم العثمانيين.

[1]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 239- 240.

[2]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 846.

[3]-ناصر بلحاج: دور الدعاية العثمانية الالمانية في التجنيد الإجباري بالجزائر والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى، مجلة الواحات، العدد 03، جانفي 2008، تصدر عن جامعة غرداية، غرداية، ص 05 .

[4]- المرجع نفسه، ص 03.

-الدعاية المضادة:

أ-الدعاية الفرنسية:

بدأت الدعاية الفرنسية المضادة منذ بداية الحرب، حيث خاطب حاكم الجزائر العام "ليتو" الجزائريين في 14 أوت 1914م، قائلا: "...هل كان الألمان يحلمون بشيء من التخاذل والخيانة إن ذلك شتيمة في حقكم، أيها المسلمون إن الجمهورية عاقدة العزم على فرض النظام والطاعة في كل مكان فمدوا لنا يد المساعدة في هذا الأمر.."،[1] وفي 07 نوفمبر 1914م، وجه الحاكم العام خطاباً آخر للجزائريين حذرهم فيه من الدعاية الألمانية التي تستغل الإسلام للوصول إلى مبتغاها، [2] ونلاحظ من كلا خطابي الحاكم العام أنه ركز على التحذير من الدعاية الألمانية في حين تجنب ذكر الدعاية العثمانية، لأن السلطات الفرنسية كانت تعرف على ما يبدو تعلق الجزائريين بكل ما هو عثماني وبالتالي فإن التحذير من الدعاية العثمانية وهو في نفس الوقت دعاية لها.

واجتهدت السلطات الفرنسية لكسب بعض الأعيان والأئمة لمواجهة الدعاية الألمانية العثمانية، وحرضتهم للإدلاء بتصريحات ضد العثمانيين و الألمان،[3] وفيما يبدو أن فرنسا ركزت على استقطاب العلماء والمشايخ حتى تتمكن من مواجهة الدعاية العثمانية التي اتخذت الإسلام كشعار لتحقيق أغراضها.

ب-منشور الثورة العربية

عمل "الشريف حسين" شريف مكة منذ أن دخل الحرب العالمية الأولى على بث الدعاية لثورته ولأجل ذلك قام بتوزيع منشوره على الأقطار العربية لإثارتهم ضد اعدائه، الدولة العثمانية وحلفائها، فكانت الجزائر

[1]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 813.

[2]- ناصر بلحاج: دور الدعاية العثمانية...، المرجع السابق، ص 09 .

[3]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 844.

أهم المناطق التي وزع فيها هذا المنشور وقد كلف لذلك 26 شخصاً في الجزائر كان أغلبهم من مشايخ الطرق الصوفية، وحضي هذا المنشور بتغطية إعلامية ملفتة ساهمت فيها الجرائد المساندة للسلطات الفرنسية كجريدة "أخبار الحرب" التي كانت تصدر بالجزائر [1].

وما يمكن أن نستشفه من هذا المنشور أن "الشريف حسين "حاول أن يظهر احترامه لحكام "آل عثمان" الاوائل، لأنه كان على علم بالاحترام والتقدير الذي يتمتع به أولئك لدي الشعوب العربية، ويبين أن أجداده كانوا سباقين لتأييد "آل عثمان" عند ما كانوا متمسكين بكتاب الله، حيث يقول " أول من اعترف بالدولة العلية ...هم أمراء مكة ... لتمسك سلاطينها من آل عثمان العظام طاب ثراهم، .. بالعمل بكتاب الله .."، ويبرر أن سبب خروجه على الخلافة هي تصرفات الاتحاديين العنصرية والمعادية للإسلام حتى يتمكن على ما يبدو في اثارة شعور المسلمين ضدهم، فيقول:"...وعززتهما بالطامة الكبرى...وهو هدم أحد أركان الإسلام الخمس، بالأمر بالفطر على الجندي ...."، [2] ويحاول "الشريف حسين" إبراز قتل "الأمير عمر بن الأمير عبد القادر" كأحد الرموز العربية من طرف الاتحادين، ويبين كذلك اهانة وتحقير قبر والده، وفي اعتقادنا أنه تعمد ذلك لما للرجلين من مكانة لدى العرب وخصوصا الجزائريين حيث يقول:" صلبهم في آن واحد للواحد والعشرين رجلا من عظماء العرب عدا من صلبوه من قبل وهم الأمير عمر الجزائري،.. فكيف أن ننقل مسوغاً لجراءتهم على قبر....عبد القادر الحسني الجزائري"، [3] وبهذا المنشور أراد شريف مكة "الشريف حسين" أن يكسب الجزائريين، فهل ستلقى الثورة

---

[1]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص ص 422 - 430 .

[2]- سليمان الموسى: المنشور الأول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال إفريقيا، المجلة التاريخية المغربية، العدد 07- 08، جانفي 1977، تونس، ص 109- 110 .

[3]- المرجع نفسه، ص110- 111 .

العربية صدى لدى الجزائريين سواء في داخل الوطن أو خارجه؟ وبالتالي سيكون الجزائريون في نفس صف فرنسا التي عملت جاهدة لكسبهم؟ أم أنهم سيستمرون في ولائهم للخلافة العثمانية ؟

أثبتت فترة الحرب العالمية الأولى تزايد ولاء الجزائريين للدولة العثمانية، لكن على الرغم من ذلك نجد منهم من اتخذ موقفا معاديا لها خلال هذه الفترة الحرجة، وعليه أردنا أن نقسم مواقف الجزائريين تجاه الدولة العثمانية إلى مواقف ايجابية ومواقف سلبية.

1- المواقف الإيجابية:

أبان الجزائريون اثناء الحرب العالمية الأولى عن صدق تضامنهم مع الدولة العثمانية سواء تعلق الأمر بالجزائريين في داخل الوطن أو خارجه.

أما في الداخل فإن الوضع الذي فرض على الجزائريين منذ دخول المستعمر بتكميم الأفواه وخنق الحريات قد جعل الجزائريين أقل تعبيرا عن أفكارهم، لكن على الرغم من ذلك إلا أنهم عبروا عما يختلج في صدورهم برفضهم للفرنسيين وموالاتهم للعثمانيين وحلفائهم منذ الايام الاولى للحرب، فقد علقت في أوت 1914م، منشورات على أبواب المساجد الكبرى كتب عليها :"هذا زمن الصمت فإذا تكلمت الباطل سوف تعيش وإذا تكلمت الحق تموت" [1] وازدهرت المدائح التي تتغنى بانتصار الألمان على الفرنسيين، مثل: بروسيا استقرت في البلد وألحقت الهزائم بالمسحيين ...فغذوا طعاما للطيور الكاسرة،[2] ومن الأشعار الشعبية التي انتشرت انتشار واسع بين المجندين الجزائريين قصيدة "الحاج غليوم"، التي مازال يحفظ منها أجدادنا إلى اليوم بعض المقاطع وفيما يلي بعض المقتطفات من هذه القصيدة:

[1]- Desparmet.J, la chansant d'Alger pendant la grande guerre, Revue Africaine, N73, 1932, p 55 .

[2]- شارل روبير أجيرون : المرجع السابق، ص 852 .

يا الفرنسيين واش في بالك الجزائر ماشي ديالك

يجي لا لمان يدي هالـــــك لابد ترجع كيف زمان [1]

و ما يمكن أن نستشفه من هذين المقطعين أن الجزائريين كانوا يعلقون أمالاً كبيرة على الألمان لتحريرهم من الاستعمار الفرنسي، كما يظهر أيضا رغبة الجزائريين لعودة زمن ما قبل الفرنسيين وهي الفترة العثمانية وما وهو يثبته قولهم "لابد نرجع كيف زمان"[2]

ثم تصف القصيدة معاناة المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي :

كيف ركبنا في الماشينا كيف الغنام يحسبوا فينا

ووالدينا يبكو علــينا يا رب واش هذا الغييـــنا[3]

وفي نهاية هذه القصيدة يأمل الجزائريون انتصار الألمان حلفاء الدولة العثمانية، وهو ما يؤكد ولائهم وتضامنهم مع الدولة العثمانية خلال هذه الحرب في الحين نجدهم يتمنون خسارة فرنسا وحلفائها.

---

[1]- Desparmet, J, op,cit,p 75.

[2]- في الوقت الذي كان فيه الجزائريون يرددون أغاني تؤكد تعلقهم بالعثمانيين ،كان سكان منطقة الأناضول يتغنون بأغنية تسمى "جزاير" التي ترسم حزن الاتراك عن ذلك البلد الذي غادروه قهرا بفعل الاحتلال الفرنسي، و قد قام الموسيقي "راغب كاظمي حال" بجمعها سنة 1947م، في كتاب بعنوان "الأغاني المسماة جزاير الباقية في الوطن"، أنظر: أسمهان العربي: صورة الجزائر وأثرها في المخيال الشعبي التركي (من خلال الاغنية الشعبية "جزاير")، الملتقى الدولي ...،المرجع السابق، ص420 .

[3] -Desparmet, J, op,cit,p 78 .

يا يحي يا قيـــــوم		الله ينصر حاج غليـــــــوم

يا رب يا ذا الملك		الله يخذل جيش موســـكو

نتوسل بالخـــلاص		الله يخذل جيش لافرنص [1]

وفي اعتقادنا أن هذه القصيدة نظمت قبل انسحاب الروس من الحرب سنة 1917م، وهذا ما يبينه دعاء الجزائريين على الجيش الروسي بالهزيمة أمام ألمانيا حليفة الدولة العثمانية.

وعبر الجزائريون عن رفضهم القتال إلى جانب الفرنسيين، فأصبحوا يفرون زرافات ووحدانا من الصف الفرنسي إلى الصف العثماني، لانهم يعتقدون أن المقاتلة إلى جانب الكفار خروجا عن الملة مصداقاً لقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين"[2]، وكان من أبرز هؤلاء الملازم "الحاج عبد الله" الذي فر مع عدد من الجزائريين ووجه قلمه لينتقد الجيش الفرنسي وليدعو ما تبقى من الجزائريين للحاق بإخوانهم في الدين، و ألف في ذلك كتابين الأول بعنوان "الإسلام والجيش الفرنسي" والثاني تحت عنوان "مسلموا شمال افريقيا والجهاد" [3] .

وبسبب العاطفة العثمانية التي أصبحت سائدة لدى الاوساط الجزائرية، ترجم سكان العاصمة سقوط ثرية من مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي الى أن الحكم الفرنسي سيزول ويعوض بحكم عثماني أو

---

[1] - Ibide, P 83.

[2] - سورة المائدة، الآية 51.

[3] - ناصر بلحاج : دور الدعاية العثمانية...، المرجع السابق، ص05 -06 .

ألماني،[1] و اصبحت صور رجالات الدولة العثمانية تعلق في البيوت وتزين بها قاعات الاجتماعات فقد عثرت السلطات الفرنسية في جانفي 1915م، عن صور لـ"أنور باشا"، في أحد البيوت المعِّدَة للتدخين بقسنطينة وقد علقت هذه الصور على جدران الغرفة كتب بجانبها "أنور باشا" بطل الحرية،[2] وإلى جانب هذه الرمزية المثالية قام الجزائريون بانتفاضات عبرت عن رفضهم للمستعمر الفرنسي، في حين أظهرت حبال التواصل التي ربطتهم بالعثمانيين خلال هذه الفترة، ولعل ثورة 1916م، المعروفة بـ"ثورة بلزمة"، أو "ثورة الأوراس" أبلغ شاهد على ذلك.

بدأت احتجاجات أهالي المنطقة، عندما زار رئيس بلدية "بريكة"، "زانيتاكسي" في نهاية سبتمبر 1916م، إحدى قرى المنطقة لإحضار قائمة الشبان الذين فرض عليهم التجنيد في الجيش الفرنسي، فتقدم ثلة من السكان وعبروا عن رفضهم القاطع لإرسال أبنائهم الى الموت في أوروبا من أجل فرنسا،[3] واشتدت حركة العصيان في نوفمبر 1916م، في بريكة ثم امتدت إلى مروانة وشملت عين توتة ثم عمت الأوراس كله، وقد لقيت هذه الثورة تحريضاً من العثمانيين، حيث يذكر أن من بين الذين كانوا من وراء هذه الثورة، ضباط اتراك يعملون إلى جانب مجموعة من اخوان الطريقة السنوسية، وفي خريف 1916م، عثرت السلطات الفرنسية عن منشورٍ عثماني يشجع الثورة على فرنسا،[4] وبهذا كانت ثورة 1916م، من بين أهم مظاهر التواصل بين الجزائريين والدولة العثمانية خلال فترة الحرب العالمية الأولى في داخل الوطن، أما في خارجه، فإن الحرية التي تمتع بها الجزائريون خاصة المقيمون في الولايات العثمانية، قد أظهرت صدق

[1]- الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين 1900- 1930، دراسة سياسية تاريخية مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، ج2، جامعة قسنطينة، 2004، ص 382، بحث غير منشور.

[2]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، 289.

[3]- ناصر بلحاج : مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري 1912- 1916، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2005، ص 165، بحث غير منشور.

[4]- عمار هلال : ابحاث ودراسات...، المرجع السابق، ص 164- 166.

تعاطفهم مع الدولة العثمانية أكثر من إخوانهم في الداخل، ومن أبرز المهاجرين الذين اشتهروا بولائهم للدولة العثمانية نجد:

-الأمير عبد المالك:

رغم أن السلطات الفرنسية عملت جاهدة على كسب ولاء الأمير "عبد المالك" بتعيينه رئيساً للشرطة الدولية بطنجة سنة 1906م، إلا أنه مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، ثار عليهم بإعلان الثورة في المغرب الأقصى بعد اتفاق جرى بينه وبين العثمانيين يقضي بتأسيس مملكة تضم الجزائر والمغرب في حالة نجاح ثورته ويكون الأمير "عبد الملك" حاكما عليها[1].

أعلن الأمير "عبد المالك" الحرب على فرنسا في مارس 1915م، واتصل بالثائر المغربي عبد الكريم الخطابي الذي عمل إلى جانبه كوسيط بين قواته وممثلي الألمان العثمانيين،[2] وفي هذا الصدد كشف المؤرخ "ابو القاسم سعد الله" عن وثائق تؤكد الصلات التي ربطت العثمانيين والألمان بالأمير "عبد المالك" أثناء ثورته هاته، كما تبين العداء الذي كان يكنه الأمير للفرنسيين، وفي المقابل ولاءه الطبيعي للعثمانيين، لكن هدف الأمير "عبد المالك" المتمثل في تحرير المغرب والجزائر لم يتحقق، فما إن وقعت الهدنة بين قوات الحلفاء والقوات المركزية سنة 1918م، حتى تخلى عنه حلفاء الأمس وهو ما سبب في فشل ثورته. [3]

---

[1]- ابو القاسم سعد الله: وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، المجلة التاريخية المغربية، العدد01، جانفي 1974م، تونس، ص 54.

[2]- ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية...، المرجع السابق،ج2، ص 227.

[3]- ابو القاسم سعد الله: المجلة التاريخية المغربية، المرجع السابق، ص 57- 59 .

-أحمد توفيق المدني:

يعتبر "أحمد توفيق المدني" من أبرز الشخصيات الجزائرية المهاجرة التي عرفت بمناصرتها للدولة العثمانية وإيمانها بفكرة الجامعة الإسلامية، وقد استغل "المدني" فترة الحرب العالمية الأولى ليتصل بالعثمانيين، حيث ترك الدراسة بجامع الزيتونة ودخل مع ثلة من أقرانه في التخطيط للقيام بثورة في بلاد المغرب ضد المستعمر الفرنسي واتفقوا في ذلك على الاتصال بالقائد العثماني "نوري باشا" المستقر بمنطقة "نالوت الليبية" بالقرب من الحدود التونسية،[1] وقد سبب تضامنه مع الدولة العثمانية دخوله السجن في 1914م، ولم يطلق سراحه إلا في نوفمبر 1918م، وكان من بين الأسباب التي أدت إلى اعتقاله قيامه بنسخ قصيدة [2] تحرض على فرنسا،[3] بالإضافة إلى عثور السلطات الفرنسية أثناء تفتيش أوراقه الشخصية على منديل أحمر قان يحتوي على صور لشخصيات عثمانية مهمة، وعلى صور للعلم العثماني وكذلك رسم "لغليون الثاني وزوجته"، [4] وهو ما يدل على الوشائج الروحية الكبيرة التي كان يكنها الشاب اليافع للدولة العثمانية وحتى إلى الألمان الذين أصبحوا في نظر الجزائريين واجب عليهم نصرتهم.

ولعل مما تقدم و ما أوردناه من شواهد، يتبين لنا مدى تضامن الجزائريين مع الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، ولكن لا يعني هذا أن كل الجزائريين كانوا انصارا للعثمانيين خلال هذه الفترة، وإنما وجد من عبر عن عدائه لها .

---

[1] - عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية في تونس والجزائر، 1899 -1953، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2007، ص 71، بحث غير منشور.

[2] – انظر الملحق رقم: 04

[3] - أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص 98.

[4] - التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص 311.

2- المواقف السلبية اتجاه الدولة العثمانية:

كما عبر الجزائريون عن ولائهم للدولة العثمانية عبروا عن الوقوف ضدها، ولعل في مقدمة هؤلاء نجد القواد والأعيان ومن اتبع منهجهم وسار على دربهم، مثل الشيخ "علي التيجاني" الذي أظهر عداءه صراحة للدولة العثمانية[1]، وكذلك نجد "الآغا جلول بلخضر" من منطقة "لارباع" بين الجلفة والأغواط الذي كون فرقة من القومية دخلت الحرب إلى جانب فرنسا ضد الدولة العثمانية[2]ونفس الموقف اتخذته حركة الشبان الجزائريين [3] حيث عبروا عن وقوفهم إلى جانب فرنسا، وهذا ما صرح به الدكتور "مورسلي" في جريدة "جمهوري قسنطينة" حينما قال :" لا تعتمدوا علينا فإننا لا نعرفكم فنحن لسنا شبان أتراك ولا محافظون ولا أتراك مسلمين، نحن مسلمون فرنسيون وسنبقى على هذا الحال"[4].

وكان من الجزائريين من انساق وراء الثورة العربية سنة 1916م، ولعل من ابرز هم "الطيب العقبي"[5] الذي كان من أنصار الدولة العثمانية و الجامعة الإسلامية، ولكن مع تولي الاتحاديين الحكم سنة 1909م، الذين انتهجوا سياسة معادية للإسلام والعروبة، تغير موقف "الطيب العقبي" تجاه الدولة

---

[1]- شارل روبير أجيرو: المرجع السابق، ص 844.

[2]- ناصر بلحاج: مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري ...، المرجع السابق، ص 127.

[3]- هي حركة سياسية ظهرت في مطلع القرن العشرين، ناضلت من أجل الحصول على إصلاحات سياسية من السلطات الاستعمارية فقامت لأجل ذلك بتأسيس النوادي والجمعيات مثل نادي التوفيقية بالجزائر العاصمة، وقامت بإصدار الصحف للتعبير عن أراءها مثل صحيفة الراية الجزائرية التي ظهرت في عنابة سنة 1910م، من بين رواد هذه الحركة "طيب مورسلي " و الدكتور "بن بريهمات" أنظر: شارل روبير أجيرو: المرجع السابق، ص 704-713.

[4]- الجمعي خمري: المرجع السابق، ص 381.

[5]- ولد طيب العقبي في بلدة "سيدي عقبة" ولاية "بسكرة "حالياً سنة 1899م، ولما بلغ سن السادسة هاجرت اسرته إلى بلاد الحجاز، التي نشأ بها وأخذ على يد علمائها، وشارك في الحياة السياسية هناك فاتهمه الأتراك بدعم الثورة العربية سنة 1916م، وهو ما جعلهم يفرضون عليه الإقامة الجبرية في تركيا وكان ذلك في نوفمبر 1916م، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد إلى مكة عام 1919، وبعد سنة عاد إلى الجزائر التي توفي بها سنة 1958م، أنظر:

- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص 311- 313.

العثمانية وكان من بين الأوائل الذين باركوا ثورة "الشريف حسين" سنة 1916م، وهو ما سبب له النفي من طرف السلطات العثمانية إلى الروملي ثم إلى أزمير،[1] وبعد انتهاء الحرب وعودته من المنفى الى الحجاز ولاه الشريف حسين رئاسة تحرير جريدة "القبلة" [2] .

وإلى جانب "الطيب العقبي" نجد الأمير "عمر" بن الأمير "عبد القادر" الذي عرف بحسه القومي العربي عكس أغلب أفراد أسرته، وكان يجهر بمعاداته لسياسة التتريك الذي ينتهجها حاكم دمشق "جمال باشا"، بل جعل بيته مقراً لاجتماعات القوميين العرب،[3] ولا شك أن الأمير عمر كان من بين الجزائريين اللذين وقفوا ضد الدولة العثمانية في بداية هذه الحرب، وهو ما جعل الوالي العثماني "جمال باشا" حاكم دمشق يتتبع حركاته وسكناته ويأمر بالقبض عليه ليتم إعدامه مع رموز الحركة العربية في 06 ماي 1916م، بتهمة التحريض على الانفصال عن الدولة العثمانية [4] .

وفي الأخير، يمكننا القول، أن موقف الجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى قد تراوح بين مؤيدٍ ومعارض للدولة العثمانية، وإن كان أغلب الجزائريين قد عبروا عن ولائهم وتضامنهم معها، لأنهم كانوا يعتبرونها رمز الإسلام المسلمين، بالإضافة على أنها دخلت الحرب ضد جلاديهم مضطهديهم، فكان من بين أمالهم انتصار العثمانيين وحلفائهم لعل ذلك يكون سببا في تحريرهم من نير الاستعمار الفرنسي، وبعد نهاية الحرب لم نعثر على أي تواصل بين الجزائريين والدولة العثمانية حتى سقوط الخلافة سنة 1924م.

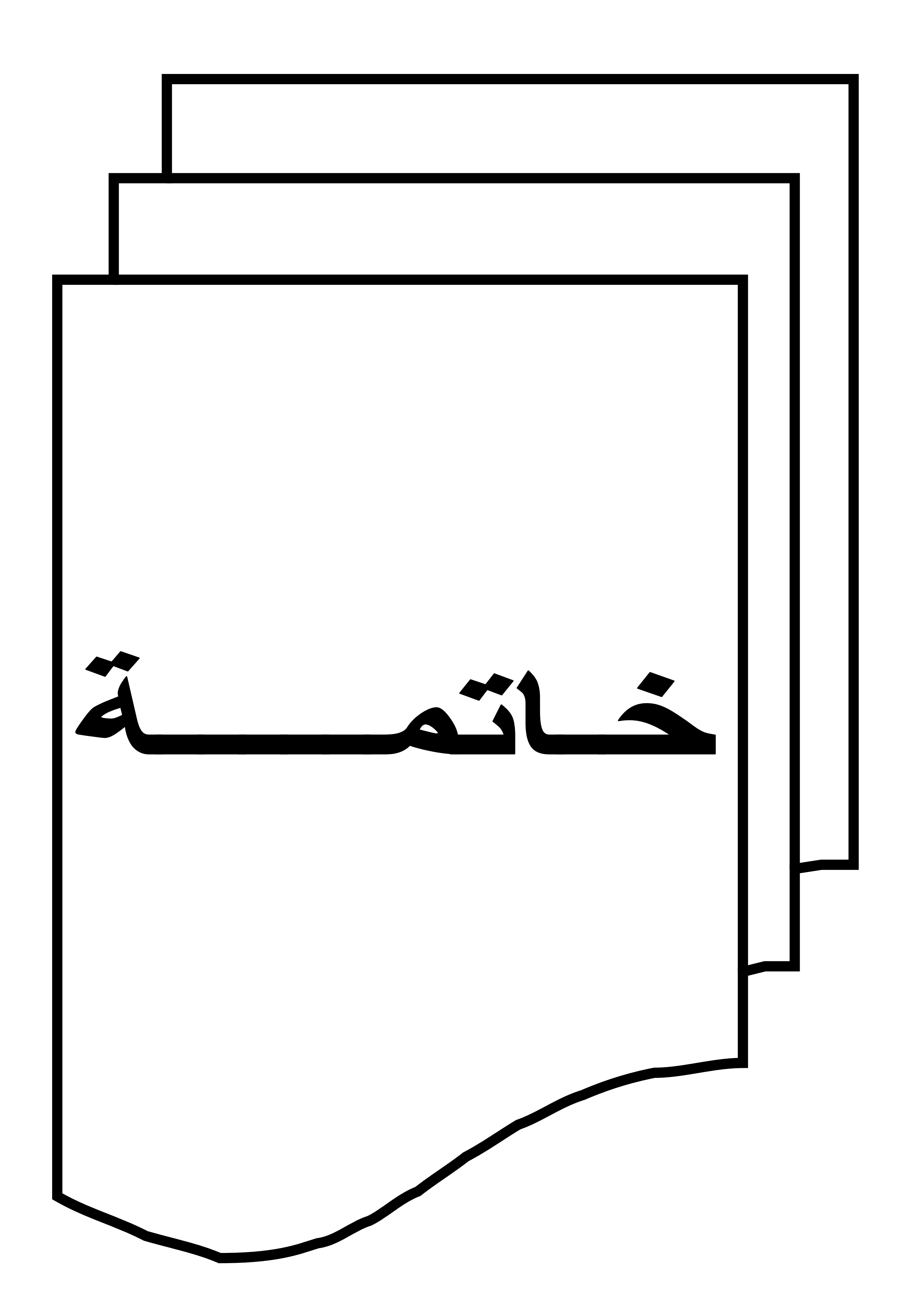
---

[1]- كمال عجالي: إسهامات الشيخ الطيب العقبي في الإعداد للثورة العربية سنة 1916 بالحجاز، مجلة الحوار الفكري، العدد07، ديسمبر 2005، تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، قسنطينة، ص 130-131.

[2]- CH. André Julien, études maghrébines, presses universitaires de France, paris, 1964, p 240 .

[3]- الأميرة بديعة: اصحاب الميمنة ....، المرجع السابق، ص 345.

[4]- جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 88.


خـــاتمـــــــــــــــة

-بعد هذه الدراسة توصلنا الى عدة استنتاجات منها:

أولا: أن المكانة التي كانت تحتلها الجزائر لدى الدولة العثمانية، الأمر الذي جعل هذه الأخيرة تبذل مساعي حثيثة لاسترجاعها الى الحضيرة العثمانية منذ سقوطها في يد الاستعمار الفرنسي، فقامت بنشاط حثيث سياسيا و عسكريا لأجل ذلك، لكن الضعف الذي اعترى الدولة في ذلك الوقت لم يسمح لها بتحقيق مساعيها .

ثانيـــا: أن الجزائريين تمسكوا بتواصلهم مع الدولة العثمانية بعد الاحتلال الفرنسي، بل سعوا لعودة حكمها على الرغم من مساوئ الحكام العثمانيين وتتعدد تجاوزاتهم في آخر عهدهم بالجزائر، ويعود ذلك لما رآه الجزائريون من شدة ظلم وتعسف السياسة الاستعمارية منذ بداية الاحتلال، فاعتبروا ظلم العثمانيين أهون بكثير من ظلم الوافدين الجدد .

ثالثــا: كان أحمد باي ينظر للسلطان العثماني على أنه سلطته الدينية العليا، التي تمكنه من الوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي، في الوقت الذي كان يعتبر نفسه استمرارا للحكم العثماني بالجزائر، فلم يقطع صلته بالباب العالي رغم عدم وصوله أي مساعدة منه، واستمر في ذلك حتى بعد سقوط عاصمة بايلكه سنة 1837م، وفي المقابل من ذلك، كان الباب العالي يعتبر مقاومة الحاج أحمد تجسيدا لشرعيته في الجزائر الذي لم يستطع مساعدته عدا ما كان يتواصل معه برسائل روحية تحثه على مواصلة الجهاد .

رابعــا: بالرغم من سوء العلاقة بين الأمير عبد القادر وأتراك الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وكذلك مع بقايا الاتراك من الكراغلة فيما بعد، إلا أن نظرته للدولة العثمانية لم تكن كذلك، إذ يعتبر السلطان العثماني رمزا للخلافة وحاميها، و ما اختياره الهجرة إلى الاقاليم العثمانية إلا خير دليل على ذلك، ولهذا لم يكن تواصله بالباب

العالي بسبب حتمية دولية فرضت عليه، وفي الجهة المقابلة كان الباب العالي ينظر لمقاومة الأمير بنوع من الأمل الذي يمكنه من استرجاع الجزائر .

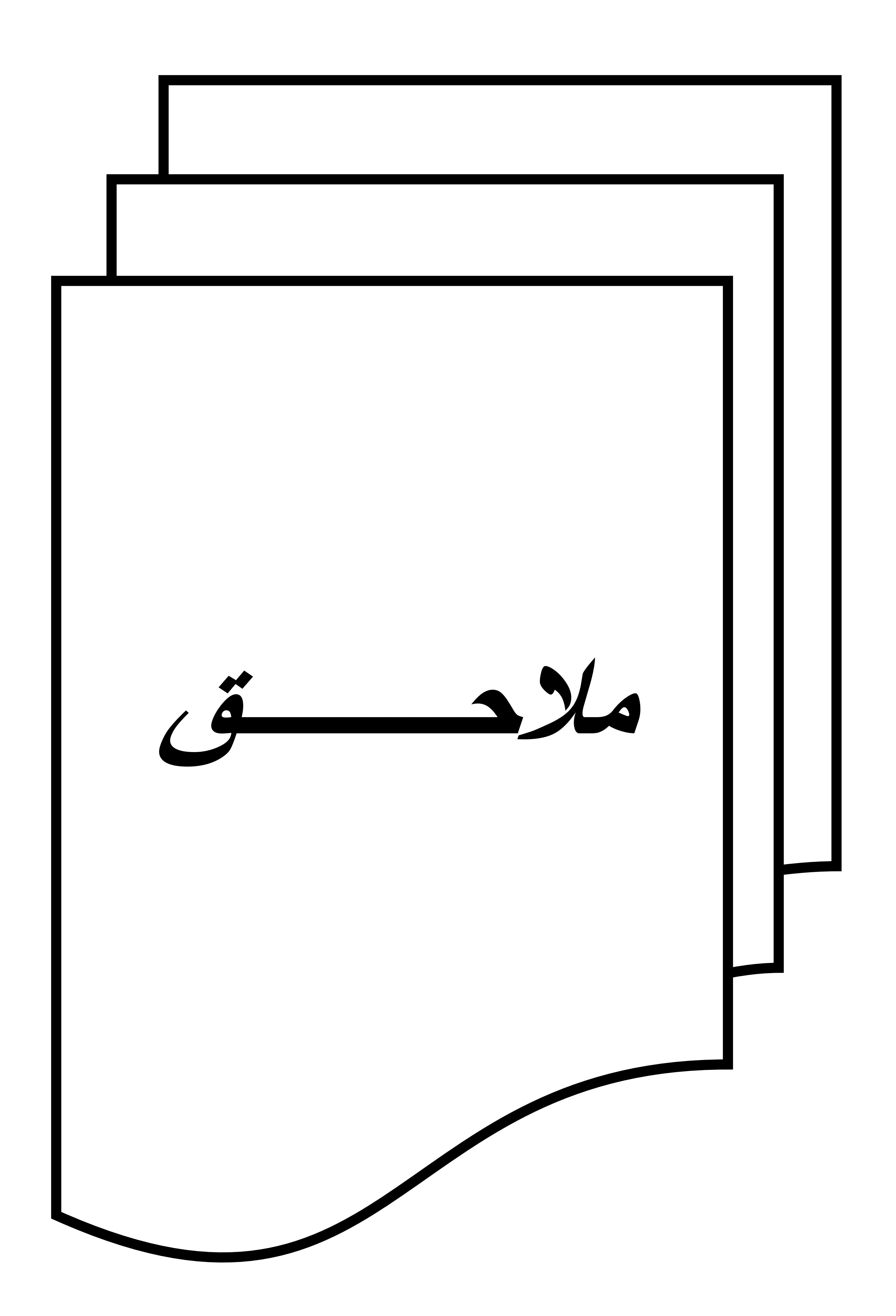
خامســا: تسببت السياسة الاستعمارية الفرنسية، في تقوية شعور ولاء الجزائريين تجاه الدولة العثمانية، فأدى ذلك إلى زيادة موجات هجرتهم نحو ولاياتها، أين شاركوا في مختلف جوانب الحياة معتبرين أنفسهم عثمانيين، فساهموا بذلك في زيادة أواصر التواصل مع السلطة العثمانية كما هو الحال مع أسرة الأمير عبد القادر، التي دخل أغلب أفرادها في علاقات وطيدة مع تلك السلطات وأثبتوا ولائهم لها، رغم المبادرات الفرنسية المتكررة لكسبهم .

سادســا: أن السلطان العثماني أصبح مع مرور الوقت يمثل رمز النصر والحرية، بسبب ما توارثه المخيال الشعبي الجزائري عن التواجد العثماني بالمغرب، وما زاد في تأجيج ذلك، الويلات التي ذاقها الجزائريون من الاستعمار، وعندما كانت الجامعة الاسلامية التي تبنتها الدولة العثمانية تدعو الى تحرير البلاد الاسلامية من السيطرة الاجنبية، كان طبيعيا أن يكون الجزائريون من أشد أنصارها، فأدى ذلك الى دخولهم مع الدولة العثمانية حتى في حروبها ضد القوى المسيحية.

سابعــا: أن كلا الطرفين (المجتمع الجزائري والدولة العثمانية) متمسك بتواصله مع الآخر، فالدولة العثمانية كان هدفها هو تحقيق أغراضها السياسية، بينما كان تمسك الجزائريين بالدولة العثمانية من منظور ديني على أساس أنها تمثل رمز المسلمين، ومن منظور سياسي سببه الاضطهاد والظلم الاستعماري، وقد تجسد هذا خاصة أثناء الحرب العالمية الأولى، التي كان فيها أمل الجزائريين هو انتصار العثمانيين وحلفائهم لعل ذلك يكون سببا في انعتاقهم من نير الاستعمار الفرنسي .

ثامنـــا: على الرغم من الولاء الذي أظهره الجزائريون للدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، إلا أننا نجد منهم من اتخذ موقفا سلبيا تجاهها، وكان ذلك بسبب اختلاف الرؤى السياسية أو حتى في بعض الحالات لأسباب شخصية .

تاسعـــا: أن تواصل الجزائريين بالدولة العثمانية انقطع بعد الحرب الكبرى الأولى، بسبب ضعف الرابط الذي الذي ساهم في استمرار تواصل الطرفين منذ 1830م، (لأن الجزائريين اتجهوا بعد الحرب لتنظيم أنفسهم سياسيا للمطالبة بحقوقهم من المحتلين، بينما الدولة العثمانية زيادة على انهزامها في الحرب، هو سقوطها في أيدي الكماليين الذي تبنوا المنهج العلماني للدولة) وبالتالي ضعف الرابط السياسي والديني، الذي كان سببا في استمرار التواصل بين الطرفين.


ملاحـــــــــــــــق

ملحق رقم:01

مقتطفات من رسالة حمدان خوجة إلى السلطان العثماني محمود الثاني

إلى صاحب الجلالة سلطان العالم الإسلامي ... رمز الدين سيدنا السلطان محمود بين السلطان.

... نعلمكم أنه إثر المصائب التي حلت بالبلاد، فإن الناس ...هجروا عائلاتهم وبيوتهم وإن الكفار قد ألحقوا بهم ضيقاً وجوراً بحيث لا ملجأ للناس بطلب السعادة غير سلطانكم، إن الشعب الجزائري قد عهد إلي مسؤولية الاتصال بالباب العالي واطلاعه على وضعيتنا بما نبعثه من تقارير لسيادتكم ... إن عبدكم ترجاكم أن تنقذوا العباد من هذه المصيبة....إن سلطاننا يعلم أنه المسؤول عن هاته البلاد، ... لماذا تهملون بسط عطفكم على هذه العشر ملايين من المسلمين ...إن سيدنا السلطان ... لا يتركنا بل على العكس من ذلك، ... فبرحمة ربكم اشفقوا عنا، إن عددا من الأشخاص قد جاؤوا إلى عبدكم قائلين "إن سلطاننا قد تركنا في أيدي الكفار وكان يجب حسب ديننا أن يأتي لمساعدتنا... إن هاته العشر ملايين من المسلمين سوف لن تتفق مع هذا الطاغية، ...إن سكان الجزائر حضريهم وبدويهم، وشيوخهم يرجونكم بتعيين أحد المواطنين ليحكم، كما تهبونه السيف والبدلة ولقب الباشا،.... وإذا عينتم أحدهم باشا ... وبإعانة من الله يستطيع أن يسترجع الجزائر ،قبل قدوم الفرنسيين الى الجزائر، كان سبب سوء الإدارة ناتجا عن مذابح الباشاوات، ...إن باي ولاية قسنطينة هو عبدكم الحاج أحمد باشا...، ويكون من اللائق تعيينه باشا على البلاد، لم يتصالح الحاج أحمد مع الفرنسيين وبالتالي فإن قسما هاما من البلاد ليس واقعا تحت سلطة الفرنسيين، إن المسلمين ...طلبوا منه أن يغير لقبه من الباي إلى الباشا حتى يكون رمزاً لمجد السلطان في هاته الولاية....،هاته الرسالة هي عريضتي الخاصة أطلب منكم العفو على جسارة هذا التقرير ايها السلطان ليهبكم الله النصر.

كتب من طرف عبدكم الحقير الجزائري : حمدان بن مرحوم دفتر دار عثمان خوجة

باسم الشعب الجزائري وبموافقة مصطفى باشا[1]

باريس في 29ربيع الأول 1249[2].

[1]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق...، المرجع السابق، ص168 – 173.

[2]- الموافق لـ: 16 أوت 1833.

الملحق رقم:02

رسالة من الأمير عبد القادر إلى الصدر الأعظم رشيد باشا

بعد الألقاب

إن هذا الكتاب من خديم حضرتكم المجاهدين بوطن الجزائر التي صار لغرباء الكفر وأذياله (كذا) جزائر، ولم تتفقده أسياده وحماته وتغافلت عنه أنصاره وفرسانه وكماته فهم أسر (كذا) العدو الكافر أسراً يفعل فيهم ما يشاء، و يحملهم أغلالاً وأصر (كذا) وإن قد كاتبنا سيدنا فخر الزمان والمكان، وسيد ملك يكون أو كان وطلبنا منه المدد بالعدة والعدد، وأخبرناه بأحوالنا، وسردنا عليه بعض اهوالنا فكن لنا لوجه الله ورسوله معيناً، واسقنا من زلالك ماء معيناً وازل لهفتنا وارحم ضعفنا، فالعساكر وافرة والجزائر عامرة، ونحن من عيالكم، وتعلقنا بأذيالكم، فادركونا قبل الفوات، وصلوا فينا بفضلكم رحم الإسلام، وراعوا فينا وجه النبي عليه الصلاة والسلام، فإنه ليس لمسلمين حصن غير حصنكم، يلجئون إليه، وأنتم مكلفون بالاسلام، وليس هنا أحد لك تتكلون في هذا الأمر عليه، والله سايلكم (كذا) عن أمثالنا الضعفا (كذا) وأنتم ملجأ الهاربين سلفاً وخلفاً، وإن أكف خدامكم المجاهدين لاستمطار فضلكم ممدودة، وحاش (كذا) جودكم وكرمكم إن ترجع بالحرمان مردودة. ومرادنا نبعث هدية لحضرتكم العلية ... ونبعث من يقدم مقامنا في تقبيل يدكم الكريمة الندية، ومن ترادف الحروب علينا لم يتيسر لنا ذلك، والله المرغوب في تبليغ مرادنا فيما هنالك[1].

شوال 1257[2]

يلي ذلك ختم الأمير عبد القادر بن محي الدين.

---

[1]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق...، المرجع السابق، ص227.

[2]- الموافق لــ ديسمبر 1841.

الملحق رقم: 03

رسالة من الباب العالي إلى الأمير عبد القادر[1]

لقد اتصلنا برسلكم المحملين برسائلكم ونحن الآن على اطلاع وعلم بكل ما اخبرتنا به لقد أظهرتم شجاعة واخلاصا بقيادتكم أمر المسلمين انكم بذلك قد أطعتم رضى الباري ورسوله وكذلك الباب العالي ليجازيكم إليه.

أما نحن فسوف لن نتردد في مكافئتكم لما تستحقونه من الرعاية وسوف ننفذ كل مما نراه لائقا

إننا بتبييننا الألغاز في رسالتنا، نطلب منكم أن تكتموا أمر هاته القضية، وذلك لأهميتها وسوف تساعدوننا كثيرا إذا راعيتم سرية القضية، وعليه فإننا نطلب منكم أن تلغزوا رسائلكم، إننا نعتذر على قصر هاته الرسالة[2].

[1]- بدون تاريخ

[2]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق....، المرجع السابق، ص 229.

الملحق رقم:04

القصيدة التي كانت سببا في دخول أحمد توفيق المدني السجن أثناء الحرب العالمية الأولى

فرانسه

ماذا جرى رباه إني هالكة نزلت علي مصائب كالصاعقة

هذي بني الألمان جاءت تبتغي باريس تصليها نيرانا حاميه

وذي جنود الأنكليز قد انثنت تبغي مراكزها لعلها خائنه

أنكلترا

أتضني ايتها البهيمة أنني أرسل جنودي لميادين القتال

لأصون أرضك أنت يا من بي المغرب الأقصى ضيعت ألوفا من الرجال

لقد ضيعت مدرعات عشرة عشرون ألف قضوا حتف الأجيال

أبعد هذا تطلبين إعانتي إن ذا لهو الضلال

فرانسه

تعسا لك من دولة خائنة طوحتني في حرب شعب قاسيا

فلأستعن بالأخرى ولا صح عونا لأختك يا حبيبتي روسيا

روسيا

بالله دعيني يا أختي إني في الهم والأحزان والأكدار

قد جاءني الأتراك لما كنت في قليسيا Galice orient أفتح الأمصار

ساروا إلى القكاز Caucase في مجموعهم فتحوه قصرا، واقتفوا الأثار

قد ضربني الألمان واستولوا على أرض بها جمع من الأحرار

أبعد هذا تطلبين إعانتي مع أنني في الغم والأحزان والأكدار

فرانسه

نعم خدعت اليوم شر خديعة وأنني حمقاء وبلهاء مغتره

تونس

هذا جزاء الظلم يا فرانسه والظلم مصرعه وخيم كما ترى

لما دخلتني إلي قلت إنني محتاجة للعدل وهذا بلا مرا

ولكن أطردت مني العدل مطلقا والظلم عن أنيابه قد كشرا

أرشاد فأنقذني وكسر قيديا وارفع على أرضي لواء أحمر

رشاد

مهلا بنيتي إني أنجيك والجند قبل طرابلس يأتيك

إني رشاد الدين ليث في الوغى وسأنقذ الإسلام من حاميك

تونس

ربي عمرني طويلا لكي أرى محلى قشلة القصباء ورايتنا الحمرا

فرانسه

رفقا يا غليوم رفقا بالتي تجثوا أمام علياك المتعصم

نعم إني فرانسه قد قهرت وفي هذا دليل للإنتصار وقوتي

فرانسه

نعم سعدي قد أفل بالخيبات الأمل

انكلترا

بالخيبات الأمل [1]

---

[1]- التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص309- 310 .


قائمة المصادر
والمراجع

- القــرآن الكــريم

- المصــادر باللغة العربية

1- إبن الأمير عبد القادر محمد : تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903م.

2- تشرشل شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة و تعليق، ابو القاسم سعد الله، الدار التونسية، تونس، 1974 م.

3- الجزائر في الوثائق العثمانية: المديرية العامة لدور المحفوظات (رئاسة الأرشيف العثماني)، ترجمة: فاضل بيات و السيد يشار محمد صالح الشريف، رقم المنشور 115، أنقرة، 2010 م.

4- خوجة حمدان بن عثمان: المرآة، تعريب: محمد العربي الزبيري، ش. و .ن. ت، ط2، الجزائر، 1982م.

5- الزبيري محمد العربي: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، ش. و. ن. ت، ط2، الجزائر، 1981م.

6- الزهار أحمد الشريف : مذكرات، تحقيق: أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. ت، ط2، الجزائر، 1980.

7- السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية 1891- 1908، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

8- إبن أبي الضياف أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان، ج3، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م .

9- إبن العنتري محمد الصالح: فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها، مراجعة وتعليق يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.

10- المدني أحمد توفيق: حياة كفاح، ج1، ش. و .ن. ت، ط2، الجزائر، 1988م.

- المصادر باللغة الأجنبية

1-Haedo (D), histoire des rois d' Alger, traduction, Henri Delmas de Grammont, E.G.A.L, Alger, 2004.

– الرسـائل و الأطروحات الجامعية

1- بلحاج ناصر : مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري 1912- 1916، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2005م، بحث غير منشور.

2 – حماش خليفة إبراهيم : العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير، جامعة الإسكندرية، 1988م، بحث غير منشور .

3 – خليفي عبد القادر: أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية في تونس والجزائر، 1899 – 1953،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2007م،بحث غير منشور.

4 – خمري الجمعي: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين 1900- 1930، دراسة سياسية تاريخية مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،ج2، جامعة قسنطينة، 2004م، بحث غير منشور.

5-عميراوي احميدة: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827- 1840، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1983م، بحث غير منشور .

–المراجـع باللغة العربية

1- أجيرون شارل روبير: المسلمون الجزائريون وفرنسا 1871- 1919، ج2، ترجمة: م. حاج مسعود . و . ع .بالعربيي، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007م.

2- إبراهيم محمود: العلامة محمد بن علي السنوسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.

3-بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962،دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997م.

4- بوعزيز يحي: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.

5- – التميمي عبد الجليل :بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871، الدار التونسية، تونس، 1972م.

6- الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام ،ج3، ديوان المطبوع الجامعية، ط7، الجزائر، 1995م.

7- حتي فليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ،ج2، ترجمة: كمال اليازجي، دار الثقافة، ط2،بيروت، 1972م.

8- الحسني الجزائري الأميرة بديعة: اصحاب الميمنة إن شاء الله، دار السلام، دمشق، 1997م.

9- الحسني الجزائري الأميرة بديعة: وما بدلوا تبديلا، دار الفكر، دمشق، 2002م.

10- الركيبي عبد الله : الشعر الديني الجزائري الحديث، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981م.

11- زوزو عبد الحميد: مراسلات الأمير عبد القادر و الجنرال دي ميشال ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير، دارهومة، الجزائر، 2003م.

12- سعد الله ابو القاسم: تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، الجزائر، 1970م.

13- سعد الله ابو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1992م.

14- سعد الله ابو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930، ج2، دار الغرب الاسلامي،ط4، بيروت، 1992م.

15- سعد الله ابو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1996م.

16- سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2000م.

17 - سعيدوني ناصر الدين: الجزائر منطلقات و آفاق، عالم المعرفة، الجزائر،2008م.

18- الشناوي محمد عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،ج2، المكتبة الانجلو مصرية، ط2، 1986م.

19- العجيلي التليلي: صدى حركة الجامعة الاسلامية في المغرب العربي، 1876 - 1918، دار الجنوب، تونس، 2005م.

20- العربي إسماعيل: العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

21- عميراوي احميدة : دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ج1، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 1998م.

22- فركوس صالح: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826- 1850، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.

23- فركوس صالح بن النبيلي: تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي (المقاومة المسلحة 1830- 1962)، دار العلوم، عنابة، 2012م.

24- بن عبد الكريم محمد: حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، دار الثقافة، بيروت، 1972م.

25- كوران آرجمنت : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس،1970م.

26- المحامي محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981م.

27- المدني أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، مكتبة دار النهضة المصرية، القاهرة، 2001م.

28- منتران روبير وآخرون: تاريخ الدولة العثمانية، ج2، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، 1992م.

29- هلال عمار: ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر1830- 1962، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1995م .

30- هلال عمار :الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847- 1918، دار هومة ، الجزائر، 2007م.

31- ياغي اسماعيل أحمد: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996م.

-المراجـع باللغة الأجنبية

1- Belhamissi (M), marine et marins d'Alger, t 2, B .N. A, Alger , 1996.

2- Djeghloul(Ab), Elements D' histoire Culturelle Algérienne, E. N. L, Alger, 1984.

3- Galli sot (R), Algérie colonisés Algérie Algérienne ,(1870-1962) ,barzakh , Alger ,2007.

4- Hellal (A), Le Mouvement Reformiste Algeriens les hommes et l'histoire (1831-1957),O.P.U, Alger , 2002.

5- Ihaddaden (Z), Histoire de la presse indigene en Algerie : des origines jusqu'en1930, E.N.A.L, Alger , 1983.

6- Julien (CH) , études maghrébines, presses universitaires de France paris, 1964.

7- Kateb (Y) , Abed el Kader et l'indépendance Algérienne , S . N . E . D . Alger ,1983.

-مقالات الدوريات

أ- المقالات باللغة العربية

1-بلحاج ناصر: دور الدعاية العثمانية الالمانية في التجنيد الإجباري بالجزائر والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى، مجلة الواحات، العدد 03، جانفي 2008م،تصدر عن جامعة غرداية، غرداية.

2- بوعزيز يحي: وثائق جديدة عن موقف الأمير عبد القادر والدولة العثمانية من الثوار المقرانيين عام 1871، مجلة الثقافة، العدد 39، مارس 1977م، تصدر عن وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر.

3- التميمي عبد الجليل: نشاط حمدان بن عثمان خوجة في باريس واستانبول من أجل القضية الجزائرية، المجلة التاريخية المغربية، العدد 07-08، جانفي 1977م، تونس.

4- الزبيري محمد العربي: المقاومة في الجزائر 1830- 1848 ،مجلة الأصالة، العدد 31، مارس 1976م، تصدر عن وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية، الجزائر.

5-سعد الله أبو القاسم: وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، المجلة التاريخية المغربية العدد01، جانفي 1974م، تونس.

6- طرشون نادية : الهجرة الجزائرية الى بلاد الشام في مطلع القرن العشرين، مجلة دراسات تاريخية، العدد 27-28 سبتمبر- ديسمبر 1987م، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب، دمشق.

7- عجالي كمال: إسهامات الشيخ الطيب العقبي في الإعداد للثورة العربية سنة 1916 بالحجاز، مجلة الحوار الفكري، العدد07، ديسمبر 2005م، تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، قسنطينة.

8- غالم محمد: من ارشيف الادارة الاستعمارية في الجزائر: الوثائق الفرنسية والهجرة الى الديار الاسلامية، مجلة انسانيات، العدد12، سبتمبر- ديسمبر2000م، تصدر عن مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران.

9- معاشي جميلة: المهاجرون الجزائريون في بلاد الشام بين فكرة الجامعة الإسلامية والقومية العربية، مجلة الحوار الفكري، العدد01، جويلية 2001م، تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، قسنطينة.

10- مهديد ابراهيم: الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية، جريدة الحق الوهراني نموذجاً 1911-1912، مجلة عصور، العدد 06-07، جوان –ديسمبر 2005م،تصدر عن مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، وهران.

11- الموسى سليمان: المنشور الاول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال إفريقيا، المجلة التاريخية المغربية، العدد 07- 08، جانفي، 1977م، تونس.

ب – المقالات باللغة الأجنبية

1- Desparmet (J) , la chansant d’Alger pendant la grande guerre, Revue Africaine , N73,1932.

2- Payson, Le Servise obligatoire pour les indigènes en Algérie, Revue Africaine, N 52 , 1908 .

– الملتقيات

-أعمال الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية ،18- 19فيفري2014، جامعة محمد خيضر، بسكرة .

–المعاجم

1- بوصفصاف عبد الكريم وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002م.

2- بوصفصاف عبد الكريم وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

3- صابان سهيل :المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، 2000م.

4- نويهض عادل معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نوهض الثقافية، ط2، بيروت، 1980م.

5- يوسف بك آصف حضرة عزتلو :تاريخ بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.